سليمان الحكيم عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ

ودروس وعبر من النملة والهدهد

دراسة علمية

أدبية . اجتماعية

تأليف

أحمد بن محمد طاحون

الناشر

مكتبة التربية الإسلامية الموسوعية

لإحياء التراث الإسلامي

ت : ٨٦٨٦٠٥

الطبعة الأولى للكتاب

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الناشر

مكتبة التربية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامي

١٤ ش سويلم من ش الهرم خلف مسجد الأنصار – الطالبية ت : ٨٦٨٦٠٥

للمؤلف

* مرشد الدعاة إلىٰ الله (دراسة وتطبيق) .
* رياض الفالحين ومنار السالكين .
* اخرج كتاب الشكر للإمام ابن ابى الدنيا من علماء القرن الثالث من الهجرة مع زيادات وتعليقات وتعريف بالمؤلف وعصره .
* اذكار ودعوات مباركات .
* إلىٰ البرهان يا اولى الألباب .
* مع القرآن الكريم .
* يوم الفرقان .
* فى فجر الإسلام " عرض قصصى " .
* زاد الأتقياء من وصايا خاتم الأنبياء .
* امثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم .
  ((الكتاب الأول ، والثانى ، والثالث)) .

رسائل :

* كيف نربي ناشئتنا ؟
* طوبىٰ للغرباء .
* المخدرات شرٌّ مستطير .
* من حِكَم التحريم بالرضاع واحكامه
* الرجل والمراة " الحقوق والواجبات " .
* ام القرآن " من احكامها وبركاتها "

*****



***

" قَالَ رَبِّ ٱغفِرْلِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِى إِنَّكَ أَنتَ ٱلوهَّاب * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب * وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاص * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَاد * هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَٱمْنُن أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَاب * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآب "

سورة ص " ٣٥ : ٤٠ "

فضل الله على سليمان بن داود عليه السلام

تمهيد :

قصَّ علينا القرآنُ الكريمُ قصصَ الأنبياءِ والمُرسَلين لأن فيها عِبرًا وعظاتٍ تساعد الإنسانَ على تسديد خطاه ، وتقويم توجهاتِه ، وتصحيحِ فكرِه ، وترشيدِ مسالكه وتوجيه قدراتِه وطاقاته وملكاتِه نحو الخير والبِر .

وفي قَصص أنبياءِ اللهِ وأوليائه الصالحين آياتٌ بينات شاهدات على وحدانية الله، وعظيم سلطانِه ، وكمالِ حكمتِه وتدبيره ، وفي تدبر هذه القَصص ما يُقوِّي الإيمان ، ويثبِّت اليقين ، ويجعل ذوى الألباب أعظمَ رجاء فى رحمة الله ، وأشد صبرًا على البأساء والضراء وحين البأس ، وأعظمَ ثباتًا فى ميادين الجهاد ، وأقوى يقينًا فى أن البقاء للأصلح عقيدةً وخُلقًا وعلمًا نافعًا ، وأكثرَ استقامة على طريق الحق ، وثباتًا على الصراط المستقيم .

والله عزوجل يقول من سورة النور: " **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون** " آية : (٥٥) .

وفى البشرىٰ بالنصر والتمكين لأهل التوحيدِ والعملِ الصالح يقول سبحانه من سورة غافر: " **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** " آية : (٥١) .

فإذا استقامت الجماعةُ علىٰ دين الله ، وثبَتت علىٰ الحق ، وسارت فى طريق الرسل وخاتَمِهم النبىِّ محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، وجاهدت لنصرة الدين ، وصبغت حياتَها بمبادئه وفضائله تحقق لها الوعدُ الذى لايتخلَّف بفضل الله وعنايته: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** " القتال: آية: (٧) .

وقد أمدَّ اللهُ أنبياءَه ورسلَه بالمعجزات الدالةِ علىٰ صدقهم فيما ادَّعوه من أنهم مبعوثون إلى العباد بآيات وحْيه سبحانه لإخراج الناس من حَيرة الشكِّ إلىٰ طمأنينة اليقين ، ومن ظلام الكفْر والشركِ إلى نور الإيمان والتوحيد ، ولتربية النفوس علىٰ ما به ترقىٰ فى مدارج الكمالِ الإنسانى بجانبيْه الروحى والجسدىِّ ، المعنوىِّ والمادىِّ .

وقد لفت اللهُ عباده إلىٰ قصص أوليائِه وأنبيائه لتكونَ موضِعَ عنايتهم ، وأحدَ المصادر الأساسية فى تربيتهم ، ولنتدبرْ قولَه من سورة يوسف : " **نَحْنُ نقصُّ عليْك أحسنَ القَصصِ بِما أَوحيْنَا إليْك هَـٰذا القُرآنَ وإن كُنتَ مِن قَبْلِه لَمِن الغَافِلين** " آية : (٣) .

وقال سبحانه فى ختام السورة: " **لقَد كانَ فِى قَصصِهم عِبْرةٌ لأُولِى الألبابِ ما كان حديثًا يُفترَىٰ ولٰكِن تصْدِيقَ الذِى بيْنَ يديْه وتفصيلَ كلِّ شىءٍ وَهُدًى ورحْمةً لِقوْم يؤْمِنُون** " .

نعم : إن فى قَصصهم " هُدًى " أى : هدايةً وإرشادا وتقويما وتربية "ورحْمةً" لِمَا فيها من القُدوة الصالحة ، والأُسوة الحسنة والعِبَرِ التى تساعد الإنسان علىٰ أن يتجنبَ أسبابَ المهالك ، ويسعىٰ جاهدا فى دنياه مستقيما علىٰ طريق الدين الحق ليكونَ أهلا لرحمة الله فى الآخرة .

إن فى هذه القصص النماذجَ الصالحة ، والأمثالَ الهادية ، والعجائبَ الدالةَ علىٰ أن كل شىء يَجرى بمقدار على وفْق المشيئة المُهيمنة ، والإرادة النافذة ، والحِكمة البالغة ، والقضاء الذى لا يُرد ، لأنه قضاءُ خالقِ النفوس ومالكِها ، ومدبرِ أمورها ، وإليه مصيرُها ومرجِعُها ، سُبحانه .. سبحانه .

أحمد بن محمد طاحون

جدة فى : ذى القعدة ١٤١٠هـ
يونيو ١٩٩٠م

***

١ سُليمان الحكيم . " وقصة النّمْلة والهُدهُد "

فى قِصَّة سليمانَ الحكيمِ بنِ داود عليهما وعلى نبيِّنا محمدٍ أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم العَجبُ العُجاب من براهينِ القدرة ، وآيات الرحمة ، مما ينطق بأن لهذا الكون كلّه إلٰهًا واحدًا مدبِّرًا حكيمًا عليمًا ، يَهَبُ ما يشاء لمَن يشاء من خلْقه ، ولو كان الأمر سُدًى بلا مدبِّر حكيم له كمالُ السلطان ،أوْ لو كان الأمر بيد الخلْق وقدراتهم واجتهاداتهم لتكرر النموذجُ الفريد الذى كانت عليه دولةُ سليمانَ عليه السلام من حيث بسطتُها ، وهيمنتُها ، وغرائبُ جيشِها ، وعجائبُ مسيرها ، وهٰذا كله وغيره مما نزل به الوحْى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معجزةٌ كافية لردع الإنسان عن الغىِّ ، وتوجيه النفوس إلى التوحيد ، ولو تدبر العقلاء قول الله تعالىٰ من سورة (ص) على لسان سليمان: " **رَبِّ اغفِرْلى وهَبْ لِى مُلْكًا لَاينبَغِى لأَحدٍ مِّن بعْدِى إنَّك أَنتَ الوهَّاب** " آية : (٣٥) ، ثم نظروا فى تسخير الريحِ والجن والطير ، وفى عظمة مملكةِ سليمان ، وأنها نسيجُ وَحْدِه لم يتكرَّر لدلَّتهم هٰذه الآيةُ وحدها على صدق النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن تصريف أمورِ الكون وأن العطاء والمنعَ بيد كامل القدرة والحكمة والسلطان وحده لامنازعَ له فى مُلكه ولاشريك له فى حكمته ولامشيرَ له ولاوزير ، ولا ولد ولاصاحبة ، لا إلٰه إلا هو ، ولا معبود بحق سواه .

<u>من سورة النمل</u> :

وقصةُ النملة جاءت فى سورة سُميت باسم جماعتها " النمل " وهى من السور المكية ، وآياتها ثلاث وتسعون آيةً ، وقيل: أربع وتسعون ، وتسمى - أيضا - سورة سليمان .

عطـاء مبـارك :

وقـد أخـبر اللـه عـزوجـل فى هـذه السـورة عمَّـا انعـم بـه على عبـديـه ونبيَّيْـه داودَ وابنِـه سـليمانَ - عليهما السـلام - من النعـم الجليـلة ، والمواهـب العظـام ، والصفـات الجميـلة ، والخـيراتِ الجـزيلة ، فقـد تفضـل اللـه عـزوجـل عليهمـا بالمُـلك والتمـكين فى الدنيـا ، وبالنبـوة والرسـالة فى الدين ، وجمـع لهمـا بإحسـانه بين سـعادة الدنيا والآخـرة ، وكانا عبـدين شـاكرين حـامـديـن ، ولم يُـؤتَ احـدٌ من الناس مـا أُوتـى داودُ وسـليمان - عليهما السـلام - من بسـطة الرزق ، وسـعة السـلطان وبسـطته حتى شـمل الجـنَّ والطـير ، واعطاهمـا ربـهـمـا افضـل من ذلك كلـه ، واعـلى قـدرا ، وابقـى اثـرا ، وانفـع فـى الـدنـيـا والآخـرة ، اعطـاهمـا الحمـدَ علىٰ النعمـة ، والإقـرارَ للمنعـم بالفضـل ، ومعـرفةَ حـقِّ النعم ، واداء شـكرها ، وقـد كتـب الرجـل الصـالحُ عمـر بن عبدالعـزيـز : إن اللـه لـم يُنعـم علىٰ عبـد نعمـةً فحمِـد اللـه عليهـا إلا كان حمـدُه افضـلَ مـن نعمتـه ، لـو كنـتَ لاتعـرفُ ذلك إلا فى كتـاب اللـه المُنـزَّل ، قال اللـه تعالىٰ:

" **ولقـد آتيْنـا داودَ وسُـليْمانَ عِلمًـا ، وقـالا الحمْـدُلِلـهِ الذى فضَّـلنا علىٰ كثـيـرٍ مِن عبـادِهِ المُؤْمنين** "(١) وايُّ نعمـةٍ افضـل مِمَّا أُوتِـى داودُ وسـليمانُ ؟ .

العِـلْم :

وفى الآيـة الكريمة دليـل علىٰ شـرف العـلم ، وسـمو منزلتـه ، وكـرم محـلّه ، وفضـل اهـله وتقـدمهـم ، كمـا اكـدت الآيـة ان نعمـة العـلم من اجـلِّ النعـمِ ، واجـزلِ المنـح ، وان من أُوتيـه فقـد أُوتـى فضـلا علىٰ كثير من عبـاد الله المؤمنين: " **يَرْفَـعِ اللـهُ الذِينَ آمنُـوا منـكُم والذِين أُوتوا العِلْمَ درجات**"(٢) .

وفى الحـديـث الذى اخـرجـه الترمـذى وصححـه ورواه ابو امـامة رضى اللـه عنـه قال: " ذُكِـرَ لرسـول اللـهِ صـلىٰ الله عليه وسـلم رجـلان : عـابـدٌ وعـالمٌ ، فقال: فضْـلُ العـالمِ علىٰ العابـد كفضْـلي علىٰ أدْنَـاكُـم " .

---

(١) النمـــل : ١٥ (٢) المجـادلة : ١١ .

وفى رواية وقد جاء فيها ما يشير إلىٰ شىء مما تتحدث به النملة: "ثم قال : إن الله تعالىٰ وملائكته وأهلَ السمٰوات وأهلَ الأرض حتىٰ النملة فى جُحرها ، والحيتان فى البحر يُصَلُّون على مُعلِّم الناس الخير " .

وفيه تنبيه إلىٰ فضل العالِم العامل .

لقد أعطىٰ الله داود وسليمانَ عليهما السلام عِلما سنيًّا غزيرا: علما بالدين وبالشرائع والأحكام ، وعلمَ القضاء والفهم فيه ، مع ذكاء وفراسة القاضى العادل ، وعُلِّما منطقَ الطير ، وكان لداودَ عليه السلام صنعةُ الدروع ، وآتاهما ربهما النبوةَ والزبور ، كما آتاهما الخلافة فى الأرض .

وقد شكر كل منهما المنعمَ الوهاب علىٰ نعمة العلم ، وَمِنْ شُكره العملُ به وتعليمُه ، وَمِن شُكره معرفةُ حقِّ النعمةِ فيه والفضيلة وهو الشكرُ القلبىُّ ، ويظهر ذلك علىٰ اللسان: " **ولقد آتينا داودَ وسليمانَ عِلْمًا وقالا الحمدُللّه الذى فضّلنا علىٰ كثيرٍ مّن عبادِه المؤمنين** " أى: "**فضّلنا**" بما آتانا من العلم .

<u>ميراث سليمان واتساعُ سلطانه</u> :

وَرِث سليمانُ عن أبيه داودَ عليهما السلام المُلك ، والنبوةَ إذ الأنبياءُ لاتُوَرِّثُ أموالَهم ، كما أخبر الصادقُ الأمين صلىٰ الله عليه وسلم: " نحن معاشرَ الأنبياءِ لانورِّثُ ما تركناه صدقة " أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض ومسلم وبعض أصحاب السنن عن جمْع من الصحابة منهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقد وَرَّث - بتشديد الراء - الأنبياءُ العِلْمَ ، فمن أخذه ، فقد أخذَ أعظمَ الحظوظ بعد نعمةِ الإيمانِ والاتباعِ والعملِ الصالح .

لقد خصَّ اللهُ عزوجل سليمانَ بما كان لداودَ من الحكمة والنبوة ، وزاده من فضله مُلكا لاينبغى لأحد من بعده .

قال ابنُ عطيةَ المفسِّر : داودُ من بنى إسرائيلَ ، وكان مَلِكًا ، ووَرِثَ سليمانُ مُلكه ومنزلتَه من النبوة بمعنى: صار إليه ذلك بعد موتِ أبيه ، فسُمِّىَ ميراثًا تَجوُّزا ، وهذا نحو قوله : " العلماءُ ورثةُ الأنبياء " قال مقاتل: كان سليمانُ أعظمَ مُلكا من داود ، وأقضَىٰ منه ، أى: كان أرجح فى القضاء مع عدلهما ورُجحانهما فى هذا الميدان ، وكان داود أشدَّ تعبُّدا من ولده سليمان - مع علوِّ منزلتهما فى ميدان العبادة والخضوع - .

وقالوا: ولم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلَغ مُلكُ سليمان فإن الله سبحانه وتعالىٰ سخَّر له الإنس والجنَّ والطير والوحش ، وآتاه ما لمْ يُؤتِ أحدا من العالمين عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

إظهار النعمة للشكر :

وقد تحدَّث سليمانُ عليه السلام على جهة الشكر لِنعَم الله فأخبر عمَّا وهَبه اللهُ من المُلك الكبير ، والتمكين العظيم ، وقد سخَّر اللهُ له الإنس والجنَّ والطير ، وكان يعرِفُ لغةَ الطير والحيوان ، وهذا لم يُعْطَه أحدٌ من البشر ، وقد جاء على لسان سليمان فى سورة النمل : " **وقَال ياأيُّها الناسُ عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّير ، وأُوتينا من كلِّ شىءٍ إنَّ هذا لهُوَ الفضْلُ المُبين** " .

منطق الطير :

وهذا من معجزاته عليه وعلىٰ نبينا الصلاةُ والسلام ، ومنطِقُ الطير: أى نُطقه ، وهو فى المتعارَف كلُّ لفظٍ يعبِّرُ به عمَّا فى الضمير مفرَدا أو مركَّبا ، وقد يُطلَق علىٰ كل ما يُصوِّت به علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية .

والظاهر أن ذكر الطير إنما هو من قَبيل ذكْرِ البعض وإرادة الكُل أو الجميع ، وقد قالت جماعة : بل كان فى جميع الحيوان ، وإنما ذُكِر الطير لأنه كان جندًا من جُند سليمان يحتاجه فى التظليل عن الشمس وفى البعث فى الأمور - كالسفراء - فخُصَّ الطيرُ بالذكر لكثرة مُداخلته أى فى أشغال سليمان ، ولأن أمر سائر الحيوان نادر ، وغير متردِّدٍ ترداد أمْرِ الطير .

وقال ابن العربى : مَن قال : إنه لايعلمُ إلا منطق الطير فنُقصان عظيم ، وقد اتفق الناس على أن سليمان كان يفهم كلام مَن لا يتكلم ويُخْلَقُ له فيه القولُ من النبات ، فكان كل نبْت يقول له : أنا شجرُ كذا ، أنفعُ مِن كذا ، وأضرُّ مِن كذا ، فما ظنك بالحيوان ! .

هذا قوله بالعموم فى الحيوان والنبات ، فَبِمَ علَّل مَن قال بالخصوصية فى الطير ؟

***

٢ كيف كانت الطير تكلم سليمان عليه السلام

قال ابنُ العربى : إِنَّ سليمانَ عليه السلامُ كان يفهم منطِقَ ذي الروح والنبات .

أمَّا مَن قالوا : إن هـٰذا فى الطير خاصة لقوله: " عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْر" قالوا : والنملةُ طائر إِذ قد يوجَدُ له اجنحة ، ومنهم قتادة والشعبى الذى قال: وكذلك كانت النملة ذات جناحين .

وعلىٰ هـٰذا فالنملة تدخل فيمَن عُلِّم سليمانُ منطِقَه سواء علىٰ القول بالعموم فى كل حيوان ، او بالخصوص فى الطير ، وقد اشار بعضُ العلماء الذين بحثوا في الحيوان وعجائبِه وخصائصِه إلىٰ أن النمل تَنْبتُ له اجنحةٌ فى بعض مراحلِ عمره ، ولعل هـٰذا مما ادخله فى عموم الطير كما اشار قتادة والشعبى ، وقال الدميرى فى كتابه : " حياة الحيوان الكبرى " : والنمل شديدُ الشم ، ومن اسباب هلاكه نباتُ أجنحتِه ، فإذا صار النملُ كذلك اخصبت العصافيرُ لأنها تصيدُها فى حال طيَرانها ، وقد جاء فى المثل العربى علىٰ لسان أبى العتاهية الشاعر العباسى ما يشير الى ذلك ، وفيه :

وإِذَا استوتْ للنَّمل اجنحةٌ حتّىٰ يطِيرَ فقد دَنَا عَطَبُه

اى : قَرُب هلاكُه ، لأنه حين يطير تلتقِمُه العصافير ، كما اشار الدميرى ، ويُضْرَبُ هـٰذا المثَلُ لِمَن يَطْمَح فيما هو اعلىٰ من قدرته وطاقتِه فيكون ذلك سببًا لهلاكه ، وكان الخليفةُ هارونُ الرشيد كثيرا ما ينشد هـٰذا البيتَ عند خِذلان البرامكة وتهاويهم .

وتجدر الإشارة فى هذا السياق إلى ما أورده الشيخ عبدالوهاب النجار تحت عنوان " لغة الطير "[1] : كشف عالم ألمانى - بعد ملاحظات دقيقة وصبر طويل - أثرًا لم ينتبه إليه أحدٌ قبله ، وهو أن الطيور لاتصدحُ فقط ، ولكنها تتكلم ، ولها على مثال البشر لهجات خاصة ، مثال ذلك: أن الشحرور النمساويَّ لايفهم لهجة الشحرور البافارى ، والشحرورَ الفرنساوى لايفهم لهجة الشحرور الإنجليزى[2] .

وإذا كانت الطيور تتكلم ، فما بالك بما يخص الله به أنبياءه من المعجزات .

وقال القرطبى فى تعليقه على قوله تعالى: " **عُلِّمنا منطِقَ الطَّير** " أى: تفضَّل الله علينا على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة فى الأرض فى أنْ فَهَّمنا من أصوات الطير المعانِيَ التى فى نفوسها ، ثم أورد لذلك أمثلة متعددة - سيشار إليها فى حينه بإذن الله تعالى .

<u>معجزة له</u> :

والبيضاوى يشير إلى أنَّ عِلْمَ منطقِ الطير إحدى معجزات نبى الله سليمان عليه السلام : وقد تحدث عنها سليمان تشهيرا لنعمة الله " أي تحدُّثا بها على سبيل الشكر " وتنويها بها ، ودعاءً للناس إلى التصديق بِذكْر المعجزة التى هى علْم منطق الطير ، وغير ذلك من عظائم ما أُوتيه .

---

(١) فى حاشيةِ كتابِه " قَصَص الأنبْياء " صفحة (٣١٨) طبعة مؤسَّسة الحلبى .

(٢) هذا تمَّ نشرُه فى جريدة الأهرام القاهرية فى ٤ فبراير/ شباط سنة ١٩٣٧ من الميلاد .

فى معنى النطق :

ثم يقول: والنطقُ والمنطق فى المتعارَف كلُّ لفْظ يُعَبَّر به عمَّا فى الضمير ، وقد يُطلق علىٰ كل ما يُصَوَّت به علىٰ التشبيه أو التبع ، كقولنا: نطقت الحمامةُ ، ومنه قولنا: الناطقُ والصامتُ للحيوان والجماد ، فإن الأصوات الحيوانيةَ من حيث أنها تابعة للتخيُّلات مُنَزَّلةٌ مَنزِلة العباراتِ ولا سيما وفيها ما يتفاوتُ باختلاف الأغراض بحيث يفهمُها ما هو من جنسه .

ثم يفسِّر فهْم سليمان منطقَ الطير فيقول : ولعل سليمانَ عليه السلام مهما سَمِع صوتَ حيوان عَلِم بقوَّته الحَدْسية(١) التخيُّلَ الذى صوَّتَه والغرضَ الذى توخَّاه به ، ثم أورد لذٰلك شواهدَ منها ما رُوى أن سليمان مرَّ علىٰ بلبل فوق شجرة يصوِّت ويحرِّك رأسه ، ويُمِيلُ ذَنَبَهُ ، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هٰذا البلبلُ قالوا: لايانبىَّ الله ، قال: إنه يقول: إذا أكلتُ نصفَ تمرة فعلىٰ الدنيا العَفَاء ، ولعل صوتَه هٰذا كان عن شِبَع وفراغِ بال وقد عُرف عن البلبل كما عند بعضهم : أنه يحتكر الطعام ، كما جاء عند الدميرى ، وللنمل فى ذٰلك أعاجيبُ يأتى ذكرها - إن شاءالله - .

حكاية ومثَل :

وقيل : صاحت فاختة ، فقال سليمان : إنها تقول: ليت الخلْق لم يُخلقوا ، ولعل صياحَها كان عن مقاساة شدَّة ، وتألُّم قلْب ، أى علىٰ عكس ما كان عليه حالُ البلبل حين صوَّت بحكمته : إذا أكلتُ نصفَ تمرة فقل علىٰ الدنيا العفاء ، - أى فى هٰذا غِنًى عن الدنيا ، واحْثُ عليها التراب - .

---

(١) فى النسخة المطبوعة (مكتبة الجمهورية العربية يقول: " عَلِم بقوَّته الجنْسية التخيُّل ...الخ" وفى " قصص الأنبياء للشيخ النجار صفحة ٣١٧ " علم قوته الحَدْسية التخيُّل ...الخ " ولعل العبارة التي اختِيرت أدقُّ فى التعبير عن المعنىٰ المراد - فتأمَّل - .

والحَدْس - بفتح الحاء - الظَّنُّ والتَّخمين ، يقال : هو يحدِس : أى يقول شيئا برأيه ، ويقال : تحدَّس الأخبار وعن الأخبار ، إذا تخبَّرت عنها وأردت أن تعلمها من حيث لا يُعلم بك .

اما الفاختة : فهى واحدة الفواخت من ذوات الأطواق ويقال لها - ايضا - الصُّلصُل - بضم الصادين - وزعموا أن الحيات تهرُب من صوتها ، وإذا كثرت فى أرض الحيات أو فى دار جلَبوا إليها الفواخت ، وفى الفاختة : فصاحة وحسنُ صوت ، وهى تأنس بالناس ، وتعيش فى الدور ، وعُرفت اكثر ما عرفت بالعراق ، ويُضرَب بها المثل فى الكذب فيقال: أكْذبُ من فاخِتة ، والذى يُصدِّق الكذابين شبَّهوه بمَن يصدِّق أهلَ الأمانة والصدقِ ويطمئنُّ إليهم علىٰ سبيل التوبيخ والتهكُّم فقالوا فى المثَل: فلانٌ الفاختةُ عنده أبو ذَرٍّ ، وفى هٰذا توبيخ شديد لمن يأنس بالوُشَاة والكذَّابين الذين تُمثِّلهم الفاختة فى الكذِب ، إذ العاقلُ يأنس لمَن كان مِثْل أبى ذرٍّ رضى الله عنه فى صِدْقه وامانته فى الحديث ، لاينزِّل الكذَّابين منزِلةَ مِثْلِ أبى ذرّ فى الثقة به وبحديثه والطمأنينةِ إليه ، فَمَن عكَس الأمرَ وجعَل مَن يُشْبِهُون الفاختةَ فى كذِبها مِمَّن يُستَمعُ إليهم ويُوثَق بهم كما يُوثَق بأهل الصدقِ المشهورين الذين يُضرَب بهم المثَل فى الصدق والأمانةِ فقد أخطأ وصار أهلًا للتهكُّم والتقريع والتوبيخ .

<u>ومن أمثال العرب</u> :

أكْذبُ مِن فَاخِتة   تقول وسطَ الكُرَب
والطَّلْعُ لم يَبْدُ لهَا   هٰذا أوانُ الرُّطَب

فقد زعموا أن صوتها عند العرب : هٰذا أوانُ الرُّطَب ، وهى تقول ذلك ، والنخلُ لم يظهر طلعُه .

وقد نقل الدميرى عن " إحياء علوم الدين " من أواخر كتابَىْ الصبر والشكر أنهم حكَوا : أن فاختة نشَزَت علىٰ زوجها فقال لها : ما الذى حملك علىٰ هٰذا ، ولو أردتِ أن أقلبَ لك مدينةَ سليمانَ بنِ داود بمن فيها ظَهْرًا لِبَطْن لفعلتُ لأجْلكِ[1] ، فسمِعَه سليمانُ عليه السلام ، فاستدعاه ، وقال

---

(١) القصة مسرودة فى بعض عباراتها بمعانيها لا بألفاظها .

لـه: ما حمَـلك علىٰ ما قـلتَ ؟ فقال: يانبيَّ اللـه ، إني مُحب ، والـمحـــبُّ لا يُـلام ، وكـلام المحبين يُطـوَىٰ ولا يُحْـكَىٰ .. اى إن كـلامَهم يكون فيـه مبالغةٌ فى تصـوير العواطـف يُعجِـب سـامعَـه ، ولٰكن لا يُعـوَّل عليـه ، وذٰلك كما فى مبالغات شـعراء الـغـزَل التى قـد تخـرجُ - احيانا - إلىٰ حـدٍّ يُنـكَر ولا يُقْـبَـل ، ويـكـون كطُـرفة غريبة ، كمـا فى قـول بشـار بن بـرد وكان ضخْـم الجثـة :

كفَـىٰ بجِسْـمى نُحـولًا اننى رجـلٌ   لولا مخاطَبتى إيـَّاك لم تَـرَنى

فتَصـوَّرْ هـٰذا النحـولَ الذى يجعـل الإنسـانَ يمكن سـماعُ صـوته ولٰكنه لا يُرى بالعـين ، إنـه الإسـراف فى التصـوير ؟ وتناقُض بين الحقيقـة والصـورةِ المعـبِّـرة عنها ، فَمِن المبالغات ما يُثير الإعجـاب ولا يُعـوَّل عليـه فى مثـل هـٰذه الحـال اى التى جـاءت فى قصـة الفاختـة وعنـد شـعراء الغـزل بصفـة عـامـة ، ومنـهـا مـا يُنكـره الذوقُ والعقـلُ معـا كالبيـت السـابق ، وكتشـبيـه جـسـم الآدمـى او عِظـامـه بالخـيزران مثـلا كمـا فى بعض اقـوال الشـعراء :

إذا قامـت لحاجتها تثنَّت   كأنَّ عظامها من خَـيزران

هـٰذا بعض مـا اسـتأنس بـه المفسـرون وبعضُ اهـل العـلم من الحـكـايـات التى رُويـت عن سـماع سـليمان عليـه السـلام لكـلام الحيـوان والـطـيـر ، ومـا جـرىٰ فى منطقهـم من الحـكمة ، والمثَـل ، والتسـبيح والتحميـد ومن ذٰلـك مـا جـاء فى تفسـير القـرطـبى : ان حمـامـة هـدَرت عنـد سـليمان ، فقال: اتدرون ما تقـول ؟ قالوا: لا ، قـال: إنها تقـول: سـبحان ربِّى الاعـلـىٰ عـدد مـا فـى سـمٰواته وارضـه ، امـا الضفـدع فيقـول: " سـبحان ربِّى القُـدوس " ونحـو ذٰلـك من الآثـار - واللـهُ اعلم - .

<u>نؤمن بأنه عُلِّم منطـقَ الطـير :</u>

وإن المقطـوعَ بـه ولا يجـوز ان يُمارِيَ فيـه إنسـانٌ ان سـليمانَ عليه السـلام قـد عُـلِّم منطِـقَ الطـير ، وهـٰذا امـرٌ ثابـت ، وإن اللـه سـبحانه وتعالىٰ - كما

يقول ابنُ كثير - كان قد أُفْهِمَ سليمانَ - عليه السلامُ - ما يتخاطبُ به الطيورُ فى الهواء ، وما تَنطِق به الحيواناتُ علىٰ اختلاف أصنافها ، ولهٰذا قال: " **عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىء** " .

وقيل - كما فى رُوح المعانى : كانت الطيرُ تكلِّم سليمانَ عليه السلام معجزةً له نحو ما وقَع من الهدهد فى قصته معه ، وقيل: عَلَّمه اللهُ ما تقصدُه الطيرُ فى أصواتها فى سائر أحوالِها ، فيفهم تسبيحَها ، ووعظها ، وما تخاطبُه به عليه السلام ، وما يخاطِبُ به بعضُها بعضًا ، وبالجملة عُلِّم من منطِقها ما عُلِّم الإنسانُ من منطِق بني جِنسه ، ولا يُستبْعَد أن يكونَ للطير نفوسٌ ناطقة ، ولغاتٌ مخصوصة تُؤدِّى بها مقاصدَها كما في نوع الإنسان ، إلا أنَّ النفوسَ الإنسانية أقوَىٰ وأكمل .

ويقول الآلوسى : ويجوز أن يُعلِّم اللهُ تعالىٰ منطقَها مَن شاء من عباده ولا يختصُّ ذٰلك بالأنبياء عليهم السلام ، ويَجري ما ذكرناه في سائر الحيوانات ، وذَهب بعضُ أهل العلم إلىٰ أن سليمان عليه السلام عُلِّمَ مَنطِقَ الحيوان أيضا ، كما عُلِّم منطِق النبات وفى هٰذين لم يَرِدْ خبرٌ قاطعٌ - أى بالنسبة لمنطق الحيوان والنبات - وإنما هو من أقوال السابقين وما أُثِر عنهم .

<u>ومن التجارب والملاحظات</u> :

ولا شكَّ أن التجارب فى هٰذا العصر التى تجري علىٰ الحيوان والطير قد كشفَت عن كثير من الخصائص المُذهِلة ، ومنها دراسةُ الألمانى التى كشَفَت عن أن الطيورَ لا تصدَحُ فقط ولٰكنها تتكلم ، ولها لَهجاتٌ خاصة تختلف من بيئة إلىٰ بيئة - كما سبقت الإشارة إليه - فسبحان الخالق العظيم :

وفى كلِّ شىءٍ له آيةٌ   تَدُلُّ علىٰ أنَّه وَاحِد

وإن الذين لهم مُراقَبةٌ للحيوان والطيرِ يُدركون من تَغيُّر أصواتها تغيُّرَ أحوالها ، ويفسرون المراد ، إذ يَجِدون أصواتها تتكيَّف بكيفيات مختلفة باختلاف حاجاتها ومطالبها .

وعلىٰ سبيل المثال : فإن مُواءَ الهِرَّة المحبوسة غير مُوائها إذا طلبت الطعام أو الماء ، وكذلك فى الببغاء والبقر وغيرها ، فلكل صوت كيفيات ونبرات ليست فى الصوت الآخَر ، وقد أخبر شيخ وقور : أن أطفالا ألقَوا فى بيته حِدَأةً بعد أن عَبثوا بها ، ونهكُوا قوتها ، ورَضُّوا بعضَ عِظَامِها ، فألقاها أولادُه فوق السطح ، فكان يصدر عنها صوتٌ خاص كلما رأت الحِدَأَ ، فكُنَّ يَحُمْنَ عليها ، وفى كل يوم يُلقِين إليها بعضَ الطعام مِن عظام بها بعضُ اللحم وأرجل دجاج ونحوه ، مما يرزقُهن الله ، وكان أولاده يقدِّمون لها الماء وبعضَ الأكل إلى أن زالت كُربتها ، وقويت وطارت .

وعلىٰ كُلٍّ فإدراك كل صوت من الطير ، وما يُقْصَدُ به لم يكن إلا هِبة من الله تعالى يختص بها مَن يشاء من عباده ، وقد وهبها سليمان عليه السلام الذى آتاه الله من كل شىء ، أى: نعمًا كثيرة ومنها تعليمُه كلاما لا يعلمُه سواه .

***

٣ الجيش الفريد .. والملحدون كالراقمين في الماء

نِعَمٌ ظاهرةٌ وباطنة :

آتى اللهُ عزَّوجل سليمانَ بنَ داودَ من الفضْل والخيرِ مالا يَخْفَى ، وكانت نِعَمُ اللهِ عليه ظاهرةً وباطنة ، ومن الظاهرة أنَّ الله منَحه الذكاء وإصابةَ الحُكم فى القضاء منذ صباه ، ومما يدلُّ على ذلك قصةُ الحَرْثِ الذى نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القوْم من غير أهلِه ، فقد وفَّقه اللهُ إلى الحُكم الأقوم ، فقد أكلت هذه الغنمُ الزرعَ أكلًا ليلا ، ولمَّا جاء أصحابُ الزرع يشكُون ، وتمَّ التحققُ مِن صحة الدعوى حَكَم داودُ عليه السلام وعنده ابنُه سليمان وهو ابنُ إحدَى عشرةَ سنةً حَكَم بالغنَم لصاحب الحرْثِ عِوَضًا عن حرْثه الذى أتلفتْه الغنمُ برعْيها ليلا للزرع ، فقال سليمان : غيرُ هذا أرْفَقُ بِهما فحَكَم بدفْع الغنَم إلى أهل الحرْثِ فينتفعون بألبانها وأولادِها وأشْعارِها وبتسليم الحرْثِ إلى أهل الغنمِ يقومون عليه حتى يعودَ إلى ما كان ثُمَّ يَتَرادَّان ، وقد استنْبط الفقهاءُ من ذلك مسائلَ غاية فى الدقة ، وفى مِثْل هذا الحال ما جاء فى قضية ناقةِ البَراء رَضِيَ اللهُ عنه لمَّا دخلتْ بستانًا وأفسدته ، فوجَّه النبىُّ صلى الله عليه وسلم الأمة فقال: " على أهلِ الأموالِ حِفْظُها بالنَّهار ، وعلى أهلِ الدوابِّ حِفْظُها باللَّيل " .

يقول سبحانه وتعالى من سورة الأنبياء: " **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** " الآيتان (٧٨ و ٧٩) .

نَفشت فيه: رعتْه ليلًا ، وأصلُ النفْش : التفَرُّق والانتشار ، ونفَش : من باب نصَر وضَرَب وسمِع ، ويقال: نَفشت الإبل والغَنم : أى رعتْ ليلا بلا راعٍ .

" **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيمانَ** " أى : الحكومة أو الفتوىٰ ، وقرىء: فأفهمناها . وقد رجع داودُ إلى حُكم ابنِه عليهما السلام ، وسبحان الواحدِ الأحد الغنى عن عباده يهَب ما يشاء لمن يشاء .

<u>حكمة</u> :

وإن من الأسباب الرئيسة لعمارة الحياة تفاوتَ الناسِ فى الحظوظ من حيث القوةُ والضعفُ ، وتفاوتُهم فى الذكاء والقدراتِ العقلية ، وتفاوتُهم فى الغِنىٰ وأن يكونَ منهم الغنىُّ والفقير ، وفى الصنائع والحِرَف ، وفى تنوُّع تَوجُّهاتهم ، فهٰذا يحترف مهنةً يدوية ، وذاك للطب ، وآخر للفقه وقل ما شئت من التعدد والتنوع بين الناس مما لايُدرَكُ حصْرُه .

<u>خطأٌ فاحش للمذاهب المادِّية</u> :

ومن أعظم أخطاءِ المذهب المادى الماركسىِّ محاولتُه أن يطْبعَ الناسَ بطابع واحِد ، وأن يكونوا بصمةً واحدة ، وأن يشلَّ فيهم الرغبةَ فى الاقتناء ، فهو كمَن يحاول أن يبنِيَ دارا علىٰ سطْح الماء ، أو يرقُمَ فى الهواء ، لهٰذا كان التبدُّلُ الانفجارىُّ الذى رأيناه بأنفسنا فى المجتمع الماركسىِّ بمجرَّد أنْ دخلت عليهم بعضُ ريحِ الحرية ، وظهر ما هو كامِنٌ فى النفوس ضدَّ ما يُناقض فِطْرةَ الإنسانِ .

<u>من آيات قدرة الله ووجوده</u> :

وإن الاختلاف بين الناس ، كما بَيْن الابن وأبيه ، والأخِ وأخيه سواء فى الهيئات النفسية والعقلية أو فى الملامح والسماتِ والبصمات ، إلى جانب التضادِّ فى الكون كلِّه لَمِن أعظم الأدلة علىٰ وجود الصانع الحكيم ، وعلىٰ وحدانيته ، وتفرُّده بالإلٰهية ، وبأنَّ له سبحانه كمالَ القدرة ، وكمالَ الحكمة ، وكمال التدبير ، وكمال العلم .

وتأمَّل أفرادَ الأُسْرَةِ الواحدةِ مهما تقَاربوا فى بعض الصِّفات والملامح والسِّماتِ فإنه لا بدَّ من التفاوت فى ذلك كلِّه : فى البصْمة فى الصوت ، فى لون العَين ، فى قسَمات الوجْه ، فى البدَن ، فى الفهْم ودرجَاته ، فى الميول .. تأمَّل ، وسَبِّح ربَّك ، واهتِفْ ، كما تهتِفُ جميعُ المصنوعات فى الكوْن : إن لى صانعًا صنعَنى ، وخالِقًا أوجَدنِى علىٰ مُقْتضَىٰ حِكْمتِه ومشيئتِه : لا إِلٰهَ إِلَّا هُو ، ولا معبودَ بحقٍّ سواه .

وكما مَنَح اللهُ عبدَه سليمانَ معرفةَ منطقِ الطير ، وإصابةَ الحُكم فى القضاء ، وأعطاه الحكمةَ ، لذا سُمِّى : سليمانَ الحَكيم ، كذلك سخَّر له الرياحَ يصرِّفها بأمره ، كما يُصَرِّف الإنسانُ عِنَانَ دابَّتِه وكان من أَعْلمِ الناسِ بأحوالِ الخيل وأمراضِها وعيوبِها .

<u>ومن العاملين فى دولته</u> :

وممَّا أعطاه اللهُ من المُلك ما جاء فى قوله تعالىٰ من سورة النمل:
" **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُه مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُم يُوزَعُون** " (١٧) .

" **وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ** " أى : جُمِع له ، والحشْرُ هو الجمْع ، وقد جُمِع له عساكرُه من أماكنَ مختلفةٍ ، ومن أنواع ثلاثة : الجنّ والإنس والطير .

إنها الخصوصيةُ لِمَلِكٍ نبيٍّ آتَاه اللهُ من القُوَىٰ المعنويةِ والأدبية والنفسيةِ والماديةِ ما لمْ يُؤْتَ أحَدٌ من العالَمين علىٰ هٰذا النحو الذى اجتمع لسليمانَ من الدِّين والدنيا .

وإن الآيةَ الكريمةَ تُقدِّم لنا صورةً عجيبةَ الشأنِ نابضةً بالحياة استمدَّت مُكوِّناتِها من واقعٍ عاش فيه نبيُّ الله سليمان عليه السلام بفضل اللهِ وعونه ، وقد قدَّمتها لنا الآيةُ الكريمةُ فى إيجازٍ وإعجازٍ وروعةٍ ودقةٍ بألفاظ قليلةٍ ولٰكنها تُعطِى أبْعادًا ممتدَّة علىٰ ساحات فسيحةٍ شَمِلت الأرضَ والفضاءَ فوق الإنسانِ مع غرابةِ التكوينِ والتلاؤم بين مالا يَرَىٰ

الإنسانُ مما نلاؤمَه فى حياته : فكيف يتلاقىٰ الجنُّ والإنسُ فى ميدان فى نظام وطاعة وتعاون وانسجام لا يستطيع نوعٌ أن يطغَىٰ علىٰ آخر ، ولا يقوَىٰ فريق أن يتقدمَ علىٰ فريق أو يتأخرَ عن مكانه فهناك الوزَعَةُ والمشرفون الموكَّلُون بالصفوف يَزَعُون ويَكفُّون مَن يحاولُ أن يتقدَم عن مكانه من الصف .

إنها المعجزه الدالةُ علىٰ صدق النبى سليمان عليه السلام فى أنه مُبلِّغ عن ربِّه ، وفى دعوته العقلاءَ أن يُسلموا لرب العالمين ، ثم هلَّا تأملْنا الطير وهو آمِنٌ فوق هٰذه الحشود يقوم بما كُلِّف به ، وسُخِّر لأجله ، لايخشى جلبة ، ولا تخلع قلبه الأصوات ، ولا يهوله المشهد الحاشد العجيب ! .

هلا سألنا أنفسنا : من الذى ملأ هٰذه القلوبَ الطرية الضعيفة بالطمأنينة ؟ مَن الذى جمعها لسليمان ؟ وبسط سلطانَه عليها يأمرها فتنقاد ، ويزجرها فتنزجر ، ويتوعدها فَتُدلي بحجَّتها لتبرىءَ نفسها ؟ أَمَا فى ذٰلك كلِّه آياتٌ باهرات علىٰ أن لهٰذا الكون مدبِّرا حكيمًا عليمًا خبيرًا ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

ثم تأمل : الإنسىَّ يفهمُ عن الجن والطير ، والجنَّ والطيرَ يفهمان عنه ، يسأل الطيرَ فيُجِيب ، ويتوعدُ الطيرَ فيخاف ، ويحاول أن يبرىءَ ساحتَه - ومعنَا قصةُ الهدهد ناطقةٌ شاهدة - ثم إن هٰذا الحشدَ العظيم هو فيه الحاكمُ يأمر فيُطاع ، ويعظُ فيستمعون ، ويسأل فيُجيبون ، فسبحان مَن سخَّر لسليمانَ الجن والطير ، وسخَّر للإنسان منافعَ هٰذا الكون العظيم ، وأعطاه من الحيلة والذكاءِ والطاقة ما لم يُؤْتِ غيرَه . سبحانه وتعالىٰ جلَّ شأنُه ، لا شريكَ له ولا ولَدَ ولا نِدَّ .

<u>جُند سليمان</u> :

ثم نعود إلى جند سليمان عليه السلام ، ومعَنا سؤال: لماذا تم تقديم الجنِّ علىٰ الإنس ؟ لاشكَّ أن الجن عالَمٌ خفىٌّ غريب غاية الغرابة وله قدرة على التشكل والإتيان بأمور هى عن الإنسان بِمنْأَىٰ ، وليس له

بها طاقة ، وإن تقديم " **الجنّ** " فى سياق الآية إنما كان للمسارعة إلىٰ الإيذان بتنوّع مصادر قوة سليمان وحُكمه وعِزّة سلطانه من أول الأمر ، وفى هٰذا ما يوحي بالرهبة من هٰذه القوة الغريبة التكوين وفيها الجن وهو طائفة عاتية طاغية ماردة بعيدة فى نظر الإنسان من أن يتمّ حشدُها وتسخيرها على هٰذا النحو الفريد العجيب .

وإن فى حشد الطير علىٰ هٰذا النحو وتسخيرها علىٰ هٰذا الضرْب لَغرابةً وعجبًا يفوقُ كلَّ عجَب - أيضا - فلماذا لم يُقدَّم لفظُ " **الطّير** " علىٰ لفظ " الإنس " فى الآية الكريمة ، إذ إن تسخيرَها أشقُّ من تسخير الإنسان بالنسبة لسليمان ، وفى هٰذا التسخير - أيضا - دلالةٌ علىٰ قوة المُلك ، وعظمة العطاء الذى تفضَّل به مالكُ المُلك علىٰ عبده سليمان ؟ إن لفظ " **الطيْر** " لم يقدَّم لئلا يفصلَ بين الجن والإنس وهما صنفان متقابلان ومشتركان فى كثير من الأحكام .

" **فَهُم يُوزَعُون** " أى : يُرَدُّ أولُهم إلىٰ آخرهم ويُكفُّون ، إذ يُكَفُّ كلُّ واحدٍ ويُمْنَعُ من تَخَطّي مَرْتبتِه ومكانِه ، وهى أعلىٰ درجة من التنظيم والتلاحُم والانقياد ، ومثْل هٰذا المشهد يبهرُ العَين ، ويهزُّ القلب ، ويَسرُّ الحبيب ، ويُحزِن ويضرُّ الحاقدَ والعدوَّ ، قال قتادة : كان لكل صنف وَزَعَةٌ فى رتبتهم ومواضِعِهم من الكرسى ، ومن الأرض إذا مَشَوا فيها ، والوَزْعُ: الكفُّ والمنْعُ ، والوازِع فى الحرب المُوكَّل بالصفوف يَزَعُ مَن تقدَّم منهم ، ولقد كان لجيش رسولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وزَعَة يمنع من التفرق والتوزّع ، وكان جبريلُ عليه السلام ؛ يزَعُ الملائكة يوم بدْر - كما فى الموطأ - .

تطبيق :

وفى هٰذه الآية دليلٌ علىٰ اتخاذ الدولة والحكّام وزَعة - سلطة تنفيذية - يَكفُّون الناسَ ويمنعونهم من تطاوُل بعضِهم علىٰ بعض ، إذ لابدَّ للناس من وازع وسلطان يمنعُ التعدّيَ ، ويُنفِّذ أحكامَ الله فى عباده إقامةً للحق والعدل.

٤ كلمة فى المعجزات .. والنعمة الباطنة

برهان ينير للعقل طريقه :

إن قصة سليمان بن داود عليه السلام نموذج حى وحضارى نابض بالحياة والعمل والجهاد والحركة الخيرة البناءة ، ومثل قائم مقام البرهان يخاطب العقل ، ويمتع النفس ، ويشهد بأن لنا خالقا خلقنا ، وأوجدنا على مقتضى حكمته وتدبيره ومشيئته ، وعلى أن أمور الخلق كلهم بيده وحده سبحانه يصرفها وفق إرادته وعلمه .

وإن ما خص به سليمان عليه السلام من المعجزات التى لم تكن لغيره من إخوانه الأنبياء وسلفه من المرسلين على النحو الذى كانت له - كتسخير الجن والريح والطير - لهو فى دلالته على عظمة سلطان الله ، وتفرده سبحانه بتدبير شئون خلقه كإحياء الموتى لعيسى ابن مريم رسول الله عليه السلام وإبرائه الأكمه والأبرص بإذن الله ، وكإلانة الحديد لأبيه داود عليه السلام ، وكإلقاء أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام فى النار وهو جسم آدمى قابل للاحتراق ، ولكنه عاش فيها كأحسن ما تكون الحياة من الراحة والسكينة والنزهة ، وكإحياء الطير له فعلم بعين اليقين ما علمه بعلم اليقين عن طريق البرهان والدليل من إحياء الموتى للحساب والجزاء ، وكذلك معجزات موسى بن عمران كانفلاق البحر ونجاة المؤمنين ، وغرق المكابرين ، وكالعصا ، واليد وغيرها من الآيات الدالة على صدق الأنبياء فيما ادعوه من الرسالة والنبوة والناطقات بأن الملك كله لصاحب الملك الذى لا يقبل العقل المستقيم ولا الفكر المستنير أن يكون له شريك أو ولد أو صاحبة أو ند أو وزير أو مشير سبحانه له كمال الحكمة وكمال الرحمة وكمال القدرة .

ثم إن المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى القرآن العظيم ، وهى معجزة عقلية باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وبها يتم التحدي في كل زمن وعصر ، وتحدى الله به العرب وهم فى أوج فصاحتهم

وبلاغتِهم ونضجِ مَلَكاتِهم فى الشِّعر والحكمةِ والمثَل والخُطبة بل وفى قوة وبلاغةِ لُغَةِ التخاطُبِ نفسِها ، تحدَّاهم أن يأتوا بمثْل أقصرِ سورةٍ أو آية منه فعجَزوا ، وهو بلُغَتِهم وعلىٰ واحدٍ منهم أُنزِل يعرفونه ، ويعرِفون أنه لم يجلس إلىٰ مُعَلِّم ، ولم يرْحَل لطلَب عِلم ، ولم يكن يقرأُ المكتوبَ ، ولا يعرف الشعرَ ينافسُ به لأنه لم يَنظِمْه ، وقد أكَّد العليمُ الخبيرُ أنهم لن يفعلوا إن أرادوا الإتيان بمثْل آيةٍ واحدة أو سورة منه :

" **وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين** " البقرة (٢٣و٢٤) .

وفى سُورة يونس " **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه** " (٣٨ و ٣٩) .

لقد بادروا إلىٰ التكذيب دون أن يُعْمِلُوا الفِكْرَ ويُنْعِمُوا النظرَ والتأملَ فى الآيات البينات ، والدلائلِ الواضحاتِ ليقفوا علىٰ ما فيها من البراهين الدالةِ علىٰ صِدْق النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلىٰ أنه كلامُ ربِّ العالمين ، نزل به جبريلُ الأمين ، علىٰ قلب خاتم النبيين .

ومهما ارتقىٰ الإنسانُ ، وتنوَّعت معارفُه ، ونمَت علومُه ، وتقدَّمت مدنيتُه ، واتَّسعت مجالاتُ الفكرْ أمامه فإنه يعجزُ عن أن يأتِىَ بمثل آيةٍ من القرآن الكريم ، ولم يزل ولن يزالَ القرآنُ معجزةً تُنير للعقل الطريق ، وتدعوه إلىٰ الإذعان لربِّ العالمين ، وتوحيدِه ، واتِّباع نبيِّه : بنظمِه ومعانيه وإخبارِه عن المُغيَّبات ، وما فيه من أخبار الأممِ الماضين التى هى بالنسبة للنبى الأُمِّىِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أشبهُ بإحياء الموتىٰ لعيسىٰ بنِ مريمَ عليه السلامُ ، فما كان للنبى محمدٍ صلى الله عليه وسلم ولا للبيئةِ التى نشأ فيها

وترعرع عِلْمٌ بتفاصيل قصةِ يوسفَ عليه السلامُ مع أبيه وإخوتِه وأبْعادِها المكانية والزمانيةِ وما جرىٰ فيها من الحوادث العجيبةِ والمعجزاتِ والكراماتِ والعِبَرِ والعِظَاتِ ، وَيُمكن أن يقالَ ذٰلك عن تفاصيل قصةِ داودَ وابنِه سليمانَ عليهم جميعا أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم ، وما زالت معجزةُ نبيِّنا محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم تدعونا وتدعو الناس جميعا إلىٰ أن فَكِّروا ، وتدبَّروا ، وَقَلِّبُوا الفِكْرَ والنظَرَ فى آيات اللهِ الكونية ، وتأمَّلوا ما يدعُوكم إليه كتابُه وما جاء فى سُنَّةِ نبيِّه لِتَحْظَوْا بالسعادتيْن ، وتفوزُوا بالحُسْنييْن بعد أن أشقاكم اللَّهَثُ وراء الفِكْرِ المادِّى ، ودفنتُم مَواهِبَكم فى مَضايقِ العالَمِ الطِّينىِّ ، وأكثرتُم من التجربة فَشَقِىَ معظمُ البَشَر وَأشْقَوْا بسبب الانحرافِ عن صراط الله المستقيم .

<u>الإسلام هو الدواء</u> :

إن سلامةَ النفسِ ، وسعادةَ القلبِ ، وسكينةَ الروحِ ، وراحةَ الفؤادِ ، وَرُقِىَّ الإنسانِ وتكاملَ حياتِه وطمأنينتَها إنما فى الإيمان الصحيح ، والثباتِ علىٰ طريق الإسلام ، والتعاونِ علىٰ نُصرة الحقِّ ، والالتقاءِ علىٰ المنهج الواحدِ الذى جاء به الوحْىُ ، وبذٰلك يعيشُ الناسُ فى إخاء وتعاونٍ وتراحُمٍ وتعاطُفٍ وانسجامٍ وتساندٍ ومساواةٍ حقَّة وتكافل : " **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** " المائدة : (١٥ و ١٦) .

<u>ما الفرْقُ</u> ؟ :

ولقد كان للنبى محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم معجزاتٌ أُخْرَىٰ (حِسِّية) شَهِدها مَن شَهِدَها من أهل زمانِه صلىٰ اللهُ عليه وسلم ، كتكْليم الجمادِ له ، وإكثارِ الطعامِ والبركةِ فى القليل منه وغيرِ ذٰلك كإرسال الريحِ فى غزوة الخَندقِ علىٰ محاصِرى المدينةِ مع جنودٍ لم يرها أحدٌ من الناس .

ولمَّا كانت رسالةُ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وغيرِهما من الرسل قبل النبىِّ محمدٍ صلىٰ الله عليهم أجمعين وسلم كانت خاصةً بالزمانِ والقومِ

والمكان الذى بُعِث فيه النبىُّ منهم ، ولم تكن ثَمَّة رسالةٌ عامة وخالدة إلىٰ آخر الزمانِ سِوَىٰ رسالةِ نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم فهو خاتَمُ الأنبيا... ... بىَّ بعده ، ورسالتُه للإنس والجِن ، وهى عامة لجميع الناس لهٰذا ناسَب أن تكونَ معجزتُه الكبرىٰ عقليةً باقية تتحدَّىٰ العقولَ إلىٰ أن تقومَ الساعة ، وكانت معجزاتُ الرسلِ قبله حِسِّية لأنها للتحدّي فى زمان كل واحدٍ منهم ، يراها ، ويلمسُها أهلُ زمانِه الذين بُعث إليهم .

<u>عودةٌ إلىٰ قصَّة سليمان</u> :

إن النعمةَ الباطنةَ هى أعظمُ النعم وأشرفُها وأكملُها وأنفعُها لأن نفْعها دائم دنيا وأخرىٰ وهى نعمةُ التوحيدِ وصدْقِ اليقين وسلامةِ الدِّين وصحةِ الإيمان ، وقد أتمَّ اللهُ نعمتَه علىٰ رسله وأنبيائِه ، وهُدِىَ إليها مَن أخلَص قلبَه للإيمان ، وشهد أن لا إلٰه إلا الله ، واتَّبع الرسلَ وخاتمُهم النبىُّ محمدٌ صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد أعطىٰ اللهُ عزَّوجل نبيَّه سليمانَ النبوةَ والمُلك والحكمةَ وسخَّر له الطير ، وكان الجنُّ فرقةً فى جيشه - كما جاء فى الحلقة السابقة - كما سخَّر له الجنَّ فى أشغال وأعمالٍ تتصلُ بالبناء الحضارى لدولة سليمان عليه السلام ، وهُيِّىء له من الأسباب ما ساعد علىٰ النجاح وتحقيق ما أراده لبناء هٰذه الدولة كإسالة عَين القِطْر - بكسر أوله - وعلينا أن نتأمل ما جاء عن هٰذه النعم فى سورة سبأ يقول الحق تبارك وتعالىٰ ليلفتَ الناسَ إلىٰ بعض آياتِه الدالةِ علىٰ تَصرُّفه فى مُلكه بما يُريد ، فهو سبحانه يُعطى ما شاء مَن شاء من العباد : " **وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ، وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** " (١٢ و ١٣) .

و " **القِطْر** " - بكسر أوله وسكون ثانيه - النحاسُ المذاب من قَطَر يقطُر قطرًا وقطَرانًا ، إذا سَال ، وقد أُسيل له النحاسُ من عين فنبع هذا النحاسُ كما ينبُع الماءُ لاستخدامه فى البناء والمصالِح المناسبة بيُسْر وسهولة ، ولقد كان سليمان عليه السلام رجلَ عمارةٍ وبناءٍ للمصانع العظيمة ، والأدوات ذات العلاقة بحضارة زمانِه وما أُتيح له منها ، وإن العَين التي سُخرت كانت أشبَه ببُركانٍ علىٰ قَدْرِ الحاجة فكان النحاسُ المختلط بصخُور تلك الأرضِ يُصْهَرُ ويُقذَف من فُوَّهةِ تلك العين سائلا ، فيأتى عمَّالُه ويأخذونه للانتفاع به فى الصناعات وغيرها مما يحتاج إليه سليمان ، ويوجِّهُ به ، والمقصودُ بالمحاريب : القصورُ والمساجدُ . وقد حرَّم الإسلامُ صناعةَ التماثيلِ لذي الروح تحريمًا قاطعًا ، ونسخ ما كان فى عهد سليمانَ من ذلك مُباحًا سدًّا لذريعة التشبُّهِ بمتخذِى الأصنام .

وقد سخَّر اللهُ الجنَّ لسليمان فى هذه الصناعات وغيرها يطيعونه وفيهم ينفذُ أمرُه فيما قُدِّر له من بناء وجهاد وغوْص فى البحار لاستخراج نفائسِها ، وكان الله عزوجل حافظًا لهم من الزَّيغ عن أمره عليه السلام أو الإفساد ، قال تعالىٰ من سورة الأنبياء : " **وَمِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ** " (٨٢) .

***

٥ من عجائب القدرة فى حياة النمل

ضَرْبُ الأمثال بأضعف المخلوقات :

فى حياة النملِ وهو مِن أضعف المخلوقات عبرٌ وعظات ، وفى قصة النملةِ مع سليمانَ بنِ داودَ عليهما السلام آياتٌ باهرات علىٰ عظمة مُلْك الله ، وكمالِ سلطانِهِ سبحانه وتعالىٰ .

وقد ضَرَبَ اللهُ الأمثالَ بالبعوضة فما دُونها كالنَّملة تحدِّيا لمَن يعبدون غيرَ الله ، ويجعلون له سبحانه شريكًا فى العبادة ، وهؤلاء الشركاءُ لايستطيعون أن يبعثُوا الحياةَ فى مخلوق كالنملة والبعوضةِ أى فى أدنىٰ الأحياءِ جِرْمًا ، إذ سِرُّ الحياةِ فى المخلوق الدقيقِ هو نفسُ السرِّ فى المخلوق الضخْم الجثة العالى البنيان كالفيل والجمَل ، وإن سِرَّ الحياة هو الروحُ[1] وهى مما استأثرَ اللهُ بعِلْمِه : " وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " الإسراء (٨٥) .

وقد جاء التحدِّى فى سورة الحجِّ فى قوله تعالىٰ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ " (٧٣) .

إن فى هـٰذه المخلوقاتِ الضعيفةِ من دِقَّة الصُّنْع ، والهدايةِ فى تدبير المعاش والمأوىٰ والدفاع عن الحَوْزة والنفسِ وفى تدبير سبل الحمايةِ والصيانة ما يُبهرُ المُتدبِّر .

إن البشرَ لو اجتمعوا ومع المشركين ما عبـدُوهم من دون اللهِ علىٰ أن يبعثوا الحياةَ فى مخلوق هو أضعفُ المخلوقات وأحقرُها فى نظَرهم كالعنكبوت والذبابِ والنملِ ونحوها ما استطاعوا بل لو حاول جميعُ المصوِّرين والنحَّاتين

---

(١) الروح : يذكر ويؤنث ، فهو مؤنَّث مجازى .

أن يخلقوا حبَّةَ شَعير أو حبَّة قمح أو ذُرَة أو ما دون ذلك بما فيها من نَماء ونوعِ حياة لعجَزوا ، وغاية وُسْعِهم أن يصنعوا هيكلا جامدًا لا حياةَ فيه ولا نفْع منه من خشَبٍ أو حجَر أو صلصال أو نحو ذلك .

إن الأمثالَ تَزيد المؤمنَ إيمانا ، وتبعث المتدبرَ المتمعِّن علىٰ الإقرار بوحدانية الخالقِ ووجوده ، وفى سورة البقرة يَلفِتُ الله العباد إلىٰ ضرْب الأمثال بهٰذه المخلوقات القميئة ، وما فيها من آيات القدرة التى تدل علىٰ كمال سلطان الخالق : " **إِنَّ ٱللَّهَ لَايَسْتَحْيِى أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِم وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُون مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِين** " آية : (٢٦) .

" **وَمَا فَوْقَهَا** " المراد : ما فوقها فى الصِّغر والحقارة بمعنىٰ ما دُونها ، كما يقال : فلان ضعيف فى كذا وكذا ، فيُقال للمتحدِّث : وهو فوق ذلك ، أى أكثر من هٰذا ضعفا ، أو ما فوقها فى الحجم .

وإن هٰذه المخلوقاتِ صارت موضعَ دراسات فى هٰذا العصر سواء من نواحى السلوك أو من النواحى التشريحية أو البيئات التى تضمها ، وغير ذلك ، وفى تكوينها وحياتِها العجَبُ العجاب مما يحيِّر الألباب ، ويصيرُ مَضْرِب الأمثال ، ولايمكن أن تَخْلُقَ هٰذه المصنوعاتُ نفسَها ، ولا أن تدبِّر لنفسها،أو تُوجَد من غير مُوجد أو يوجدَها مخلوقٌ مثلها ، ولذا فهى تهتف بالعقلاء بأوضح دلالة ، وأفصحِ برهان أن قولوا: لا إِلٰهَ إلا الله واشكروه علىٰ نعمةِ الخلْق والعقل وتسخير الكونِ لمنفعة الإِنسان .

<u>النمل</u> :

النملُ معروف ، والواحدة نملة ، والجمع : نِمال ، وأرض نمْلة أى ذات نمل ، وطعام منمولٌ إذا أصابه النمل ، وإذا قيل نُمْلة - بضم النون - فمعناها النميمة ونقْل الكلام من شخص إلىٰ آخر .

ومن أدبيات شعراءِ البديع لتحقيق التجانُس والتقابلِ قولُ القائل:

اقْنَعْ بِما تَلْقَى بِلا بُلْغَة
فليْس يَنْسَى ربُّنا النملة
إنْ أقْبَلَ الدهرُ فَقُم قائمًا
وإن تَولَّى مُدْبِرًا نَمْ لَه

والبُلغة : بضم أوله ما يكفى لسد الحاجةِ ولا يفضُل عنها أى بلا زيادة وواضحٌ الجناس بين : النملة و نَمْ لَه ، والطباق بين : أقبل الدهرُ وتولَّى مدبرًا فهما معنيان متقابلان متضادان .

وفى البيتين توجيهٌ بالقناعة وحسنِ التوكل علىٰ الله والإشارة إلىٰ أن الأرزاق مقسومة ، والنملة علىٰ ضعفها وحقارتها تجدُ ما قُدِّر لها من الرزق ولايفوتها .

وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نَوْبة وأم مازِن ، وتسميتها نملة جاءت من تنمُّلها وهو كثْرةُ حركتها ، وقلةُ قوائمها .

<u>من خِصال النَّمل وطباعه</u> :

قال سفيان بن عيينة : ليس شىء يحتال لقوته إلا الإنسان والعقْعق والنمل والفأر كما جاء عند الدُّميرى فى حياة الحيوان الكبرىٰ وبه جزَم الغزالىُّ فى الإحياء .

ذلك أن النمل يدَّخِر من الطعام ما لايحتاج إليه ، وما هو أضعاف حاجته ، ومن طبْعه استخدامُ الحيلة فى طلَب الرزق ، وإذا وجد شيئا منه دعا جماعتَه لينهضُوا بنقْل ما يَقدرون عليه ، ويحتكِرُ النملُ قوتَه فى زمن الصيف لزمن الشتاء ، وله فى الاحتكار من الحِيَل ما إنه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسَمه نِصفين ، ما عدا الكُزبرةَ (الكسفرة) فإنه يقسمُها أرباعًا لِمَا أُلهِم من أنَّ كلَّ نِصْفٍ من الكزْبرة ينبُت ، ويقال إنه يكفيه للشبع أن يشمَّ ريحَ ما يقطعُه من الحَب .

أمّا هندستُه لقريته ففيها حِذقٌ ومهارةٌ وأخذُ حيطةٍ مما يدهشُ له ذوو الألباب ، فهو يستخدم قوائمَه الستَّ فى حفْرها ويجعل فيها تعاريج لئلا يَجرى إليها ماءُ المطر ، وقد يحتاط لنفسه أكثر من ذلك فيتخذ قريةً فوق قرية وقاية من ماء المطر ، وخوفا علىٰ ما يدخره من الحَب من البلل ، وهو يحمل أضعافَ حجمِه ، وقد يتكلَّف لحمْل نَوىٰ التمْر وهو لاينتفع به ، وإنما دافعُه إلىٰ ذلك الحِرْصُ والشَّرَهُ ، وقد يدَّخر غذاءَ سنين ولا يكون عُمره أكثر من عام،وقُراه تحت الأرض فيها ما يُشبه الحجرات ودهاليز وطبقات معلَّقة يملؤها بالحبوب يدخرها للشتاء .

وللنملة حِسٌّ وشَمٌّ عجيب .

ويقال إن النملَ ببركة دعوة سليمان عليه السلام له صار أشكر خلْق الله وأكثرَ خلْق الله توكُّلا علىٰ الله تعالىٰ .

طرفة :

ومن الطرائف ذاتِ الدلالة ما قيل : إن المأمونَ الخليفة العباسى استوقفه رجلٌ ليعرِضَ عليه مسألة ، فلم يقف له ، فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين ، إن الله استوقَف سليمانَ بنَ داود عليهما السلام لنملة ليستمِعَ منها ، وما أنا عند اللهِ بأحقَرَ من نملة ، وما أنت بأعظَمَ من سُليمان ، فقال له المأمون : صدقْتَ ووقف له ، وسمِع منه ، وقضىٰ حاجته .

فهل تكلَّمت النملة ؟ :

فى تعليقه علىٰ قوله تعالىٰ: " **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ** ". النمل : (١٨)

قال الفخرُ الرازى : وادى النمل بالشام كثيرُ النمل ، فتكلمت النملةُ بذلك ، وهذا غيرُ مُستبعَد ، فإن حصولَ العِلْم والنُّطق لها ممكنٌ فى نفسه ، واللهُ سبحانه قادرٌ على كل الممكنات .

وقال ابن كثير: خافت النملةُ على النمل أن تحطمَها الخيولُ بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ، ففهم ذلك سليمان - عليه السلام - منها ، " **فتبسَّمَ ضَاحِكًا مّن قَوْلِهَا** " .

وقال ابن بحر : إن النملة نطقت بذلك معجزةً لسليمان عليه السلام كما نطق الضبُّ لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد أن الضب تكلَّم معه ، وشهد برسالته عليه الصلاة والسلام " الألوسى " .

وإن قوله سبحانه " **فتبسَّم ضَاحِكًا مِّن قَوْلِها** " يُرجِّحُ سماعَ سليمانَ كلامَها وفَهْمَه عنها ، كما يَفْهَمُ عن سائرِ الطيور ، وهى عند الشعبى من الطير إذا كان لها جناحان ، وقد سبقت الإشارة إلى أن النمل قد ينْبُت له جناحان يطيرُ بهما ويكون فى ذلك هلاكُه إذْ تلتقِمُه العصافير .

قال الألوسى : والظاهرُ أنها صوَّتت بما فَهِم سليمانُ عليه السلام منه معنى ما قَصَدتْه كما جاء فى الآية الكريمة ، وهذا كما يفهم عليه السلام من أصوات الطير ما يفهم ، ولا يقْدح فى ذلك أنه عليه السلام لم يُعَلَّم إلَّا منطِقَ الطير إمَّا لأنها كانت من الطير ذات جناحين ، وكم رأينا نملةً لها جناحان تطيرُ بهما ، وإمَّا لأن فَهْمَ ما ذُكِرَ وقَع له عليه السلام هذه المرة من النملة - فقط - ولم يَطَّرِد كَفَهْم أصواتِ الطير .

وللعلماء أقوالٌ متعدِّدة فى هذا الشأن يأتى طرفٌ منها فى الطبقة القادمة - إن شاءالله تعالى - .

***

٦ معجزة لنبي كريم « ومن أدب النملة وحكمتها »

مَرَّ سليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام بجيوشه من الجنِّ والإنس وفوقهم الطيرُ على وداى النمل ، فقالت نملةٌ لبنى جنسها: " **ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم لايَحْطِمَنَّكُم سُلَيْمانُ وَجُنُودُه وَهُم لَايَشْعُرون** " .

مما جاء في هذه النملة :

لقد حاول بعضُ المفسرين ان يُضفِيَ على هذه النملةِ ما لاداعى للبحث عنه من حيث الحجْمُ والاسمُ دون ان يستندَ فى ذلك إلى نَقْلٍ صحيح ثابت : فَمِن قائل إنها كانت عرجاءَ تَتَكاوس ، وكانت بقدْر الذئب ، وقيل: كان اسمُها طاخية ، وقيل : حرس وإنها مِن قبيلة يقال لهم : بنو الشيصان ، وقيل : حرميا ، وغير ذلك .

والظاهرُ انها كانت كسائر النمل فى الجُثَّة ، وبعضُ انواعه يقرُب من الذُبابة ، ويُسمَّى بالنمل الفارسى ، وكيف عرَف الإنسانُ ان لهذه النملة اسمَ عَلَمٍ ، وكيف مَيَّزها بذلك ، والنملُ لايُقْتَنَىٰ كما تُقْتَنىٰ الخيولُ والكلابُ مثلا - لِمَن يقتنيها - ويسمِّيها بأسماء تميزُها عن سائر بنى جنسها .

العَلَميةُ للأجناس :

ولا شكَّ أن العَلَمِيَّةَ كانت موجودةً عند العرب ولكن بالنسبة للأجناس : كابن آوى ، وابنِ عِرس ، وثُعَالة ، وأُسَامة ، وقَثَام فأُسامةُ - مثلا - عَلَمٌ على جنس الأسد لايختصُّ به واحد دون آخَر مِن جنسه ، وكذلك ثُعالة وابنُ آوى وغيرهما وابو مشغول عَلَم " كنية " للنمل ، وام مازن وام نوبة " كنية " ايضا للنملة بصفة عامة .

ثم كيف يتأتَّىٰ للخيل أن تحطِمَ جيوش النمل إذا كانت فى حجم الذئاب ؟ إلا عن غارةٍ مُتعمَّدة مقصودة ، وهٰذا ليس بوارد ، لأن النملة نفسَها نفَت عن سليمانَ وجنودِه قصْدَ إيذاء النمل فقالت : " وَهُم لَا يَشْعُرون " وهى التفاتةُ نفسٍ مؤمنة ، أى : إن من عدْل سليمانَ وفضْلِه وفضْل جنوده أنهم لايحطِمون نملة فما فوقها إلا بِألَّا يشعروا ، وخصوصا بالنسبة للنمل وَدِقَّة حجْمِه واختفائِه فى التراب فى كثير من الأحيان .

والحطْم : الكسر ، والمراد به الإهلاك .

<u>أدبُ النملة وسرور سليمان</u> :

لقد كان سرورُ سليمانَ عليه السلام عظيما بهٰذه النملة وبمنطقها وبهٰذه الرعاية التى ترعىٰ بها جماعتَها ، وتسعىٰ جهدها لتجنيبها أسباب الهلَكة ، ثم الأدب فى الخطاب ، ومعرفة الأقدار ، فهى لم تصفْ النبىَّ المَلِك العادل بما ينافى عدْلَه ، فلم تتهمه بإمكان حطْمه بواسطة جنودِه عالمَ النمل فى هٰذا الوادى قصْدا وعُتوًّا أو عدم مبالاة ، بل قالت ما معناه : إنهم لكثرة جمعهم ، ودقةِ أحجام النمل ، قد يُؤذون النملَ علىٰ غير شعور منهم بذٰلك ، وعدم معرفة بما صنعوا أو يصنعون :

ولنتدبر قوله تعالىٰ: " فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا " .

وهٰذا يؤكِّد أن للنملة قولا ، وأن سليمان عليه السلام فَهِم قولَها تماما ، ووقَف علىٰ حالها مع قومها وشفقتِها عليهم ، واهتدائها إلىٰ تدبير مصالِحها ومصالح بنى نوعها .

وفى تفسير تبسُّمه قال القرطبى: إن تبسُّمَه عليه السلام إنما كان سرورا بقولها : " وهُم لَا يَشْعُرون " أى إنما تبسَّم من ذٰلك سرورا بما أُلْهِمَتْ من حُسن حالِه وحالِ جنوده فى باب التقوىٰ والشفقةِ إلىٰ جانب ابتهاجِه بما خصَّه الله عزوجل به من إدراك منطقِها وفهْمِ مُرادِها من قولها الذى نَبَّهت به جماعتَها .

و " **ضَاحِكًا** " حال منصوب بالفتحة الظاهرة ، قال ابنُ حجر : التبسُّمُ مبادىءُ الضَّحِك مِن غير صوْت ، والضَّحِكُ انبساطُ الوجْه حتىٰ تظهرَ الأسنانُ من السرور مع صوت خفىٍّ ، فإن كان فيه صوتٌ يُسْمَعُ من بعيد فهو القَهْقَهةُ ، وتأكيد تبسُّمِه عليه السلامُ بالحال " **ضَاحِكًا** " للدلالة علىٰ سروره ولا يُسَرُّ نبىٌّ بأمْرِ دُنيا ، وإنما سُرَّ بما كان من أمر الآخرةِ والدِّين . وقول النملة " **وَهُمْ لَايَشْعُرُون** " فيه إشارةٌ إلىٰ العدل والدينِ والرأفة .

<u>التفَاتَةٌ</u> :

وإن نظيرَ قولِ النملة فى جُند سليمان " **وهُم لا يَشْعُرون** " قولُ الله تعالىٰ فى جند محمدٍ صلىٰ اللهُ عليه وسلم " **فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْم** " من سورة الفتح[1] التفاتًا إلىٰ أن أصحاب رسول اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم لايقصِدون هَدْرَ دَمِ مؤمنٍ ، إلا أنَّ المُثْنِي علىٰ جند سليمانَ هى النملةُ بإذن اللهِ تعالى ، والمُثْنِي علىٰ جند محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم هو اللهُ عزَّوجل بنفسه ، لِمَا لجنود محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم من الفضل علىٰ جند غيرِه من الأنبياء ، كما لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم فضلٌ علىٰ جميع النبيِّين صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين .

ولقد كان بمكةَ يوم الحُديبيةِ سبعةُ رجالٍ مؤمنين ، وامرأتان مؤمنتان ، فقال اللهُ عزوجل لنبيِّه وللمؤمنين : " **وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ** " الآية : أى ولولا كراهة أن تُهْلِكُوا أُناسًا مؤمنين بين ظَهرانَيْ الكفار بمكةَ وأنتم جاهلون بهم ، فيُصِيبَكم بإهلاكهم مكروهٌ وأذىً لَمَا كفَّ أيدِيَكم عن أهل مكةَ ، ولوْ لم يَكُفَّ اللهُ أيدى المؤمنين عن كفار مكةَ فى ذلك اليوم لانْجَرَّ الأمرُ إلىٰ إهلاك هؤلاء المؤمنين بين ظَهْرَانَيْهِم فَيُصيب المؤمنين من ذلك مكروهٌ وأذىً وسُبَّةٌ بسبب إهراقِ دَمِ المؤمن ، إذ يقول المشركون : إنهم قتلوا مَن هم علىٰ دينهم .. وقد تَمَّ الصلحُ فى الحُديبية وعاد المسلمون إلىٰ المدينة المنورة من غير حرْب ، وكان ذلك فتحًا مبينا بفضل الله .

----

(١) الآية : ٢٥ .

معجزةٌ لسليمان :

لقد ألهم اللهُ النملةَ ما كان من أمر سليمان عليه السلام وجنوده لتكونَ معجزةً لسليمان ، وإن المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة ، اختص اللهُ به رسلَه وأنبياءَه إقامةً للحُجَّة علىٰ العباد ، ولقد قالت النملةُ وفَهِمَ سليمانُ عليه السلام قولَها ، وتبسَّم سرورًا بما صنعَت ، أمَّا خِلافُ العلماءِ فهو فى الكيفية التى سَمِع بها النبىُّ سليمانُ عليه السلام .

فمن قائل : إنه عليه السلام لم يسمع صوتًا أصلا ، وإنما فَهِم ما فى نفس النملةِ إلهاما من الله تعالىٰ ، وقال الكلبى: أخبره مَلَكٌ بذٰلك ، وقال وهْب : أمر اللهُ تعالىٰ الريحَ ألا يتكلَّمَ أحدٌ بشىء إلا طرحتْه فى سَمْع سليمان بسبب أن الشياطين أرادت كيدَه ، وقال الزمخشرى : سَمِع سليمانُ كلامَها من ثلاثة أميال .

والقولُ بأن سليمانَ عليه السلام سَمِع كلامَ هٰذه النملة هو الراجحُ وما دام الأمرُ معجزةً لنبى كريم فالذى تطمئنُّ إليه النفسُ أن النملة نطقَت وليس ذٰلك دلالةَ حالٍ فحسْب ، وأن سليمانَ سَمِع منها مباشرة إمَّا بقُوة نُطقها أو بِرَهَافَة سَمْعٍ فى هٰذه اللحظة ، وفى المثَل : " يسمَعُ دَبِيبَ النَّمل " يقال لمَن رهفَ سمعُه ، وسواء كان للنمل نفسٌ ناطقة كما قال الأوَّلُ ، أو كان يتفاهمُ ويتخاطَرُ عن طريق قُرون الاستشعارِ كما جاء فى دراسات معاصرة ، أو يكون حين ينبُتْ له جناحان من عالَم الطير وقد عُلِّم سليمانُ عليه السلام منطِقَ الطير .. علىٰ أى احتمال من هٰذه الاحتمالات فالمعجزةُ أن النملةَ تكلمتْ وأن سليمانَ سَمِعَها وأنه أَبْدىٰ سرورَه بحكمتها وأدبِها وإيمانها ، وعلىٰ ما جاء فى بعض الروايات " دعا لها " والباحثُ لا يرىٰ ما يمنع من ذٰلك أبدًا ، وإلا ضرْبنا فى بيداء من غير اعتماد علىٰ نص صحيح ثابتٍ عن كيفية أخرىٰ غير نطقِها والسماع عنها : " **قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا** " .

ومن المُعْجِزات :

ولقد عاش يونسُ عليه السلام فى جوف الحوتِ وفى ظلام البحر ، وعاش إبراهيمُ الخليلُ فى وسط نارٍ تتأجَّج ، وركِبَ نوحٌ سفينتَه ومَن معه وما معه فوق أمواجٍ تهدِرُ وتتلاطم وطوفان بلَغ أعلىٰ الجبال ، وعَبَر موسىٰ ومَن معه البحر فنجَوا وهلَك أعداؤُهم .

وكم من المعجزات لنبينا محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم ، ومما هو من باب كلام النملة وسماعِها ، ما أخرجه الترمذى ورواه علىٌّ بن أبى طالب قال: " كنتُ مع رسول اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بمكةَ فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجَرٌ ولا جبلٌ إلا وهو يقول: السلامُ عليك يارسولَ الله " وهذه جمادات والنملُ حيوان .

وعند مسلم والترمذى عن جابر : قال رسوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " إن بمكةَ حجَرًا كان يُسَلِّم علَىَّ ليالى بُعِثْتُ ، إِنِّى لَأَعْرِفُه الآن " .

وعند الشيخين عن معن بن عبدالرحمن قال: سمعتُ أبى رحمه الله يقول: سألت مسروقا: " من آذَنَ النبىَّ صلىٰ الله عليه وسلم بالجِنِّ ليلةَ استمعوا القرآن ؟ فقال: حدَّثني أبوك ، يعنى : ابنَ مسعود أنه قال: آذَنَتْ بهم شجرةٌ " أى أعلمتْ بوجودهم شجرةٌ .

وعند الترمذى عن أنس قال: " خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ لزقِ جِذْع ، فلما صنعوا له المِنْبرَ فخطب عليه حَنَّ الجِذعُ حَنِينَ الناقة ، فنزل صلىٰ الله عليه وسلم فَمسَّه فَسَكَن " .

وعند البخارى والترمذى والنسائى عن ابن مسعود من حديث يقول فيه ابن مسعود: " فلقد رأيتُ الماءَ ينبُع مِن بين أصابعِه ، ولقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ " وإذا كان الصحابةُ سَمِعوا تسبيحَ الجماد (الطعام) فنقول: اللهمَّ صلِّ علىٰ رسلِك وأنبيائِك الذين هم صفوةُ خلقك .

شُكْرُ النِّعمة :

كان آلُ داودَ من أعظمِ الناس شكرا للمنعم الوهّاب على ما وهبهم من النعمة ، وكانوا يُجدّدون لكل نعمةٍ شُكرا ، ولا يَفْتُرون عن عبادة الله وطاعته ، وقد نزل عليهم قول الله تعالى: " **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا** "(١) وكان داودُ عليه السلام قد جَزّأ على أهله وولده ونسائه الصلاةَ ، فكان لاتأتي عليهم ساعةٌ من الليل ، والنهار إلا وإنسانٌ من آل داودَ عليه السلام قائم يصلّي ، يقول الراوى ثابتُ البُنَانى : فغمرتهم هذه الآية .

وفي الصحيحين أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ أحَبَّ الصلاةِ إلى الله صلاةُ داودَ ، كان ينامُ نصفَ الليل ، ويقومُ ثُلثَه ، وينامُ سُدسَه ، وأحَبُّ الصّيام إلى الله صِيامُ داودَ ، كان يصومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا ، ولا يَفِرُّ إذا لاقى " .

وفسّر الزهرى : " **اعمَلُوا آلَ دوادَ شُكرًا** " فقال: أى قولوا الحمدُلله ، و " **شُكرًا** " نُصِبَ على جِهَةِ المفعولية ، أى : اعملوا عملًا هو الشكر ، وكأنَّ الصلاةَ والصيامَ والعباداتِ كلَّها هى فى نفسها الشكرُ إذْ سَدَّتْ مَسَدَّه ، وكان النبى محمدٌ صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تفطّرَ قدماه (أى تتفطّر وتتشقّق) فقالت له عائشةُ : أتصنعُ هذا ، وقد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال: " أفلا أكونُ عبدًا شكورًا " أخرجه مسلم (ولم يُخرجه غيره) ، وإن ظاهر القرآنِ والسنةِ أن الشكرَ بعمل الأبدانِ دون الاقتصارِ على عمل اللسانِ ، فالشكرُ بالأفعال عملُ الأركان ، والشكرُ بالأقوال عملُ اللسان - واللهُ أعلم - .

---

(١) سبأ : ١٣

حقيقةُ الشكر :

وإنَّ حقيقةَ الشكرِ هى الاعترافُ للمنعم بالنعمة ، واستعمالُها فى طاعته ، والكفرانُ استعمالُها فى معصيته .

وإن الاعترافَ للمنعم بالنعمة يَقتضِى توحيدَه سبحانه وتعالىٰ وإخلاصَ العملِ له ، والإقرارَ له بالفضْل ، وهٰذا شكرُ القلب ، وشكرُ الجوارحِ القيامُ بالطاعات وكفُّها عن المعاصِى ، وشكْرُ اللسانِ حَمْدُ اللهِ والثناءُ عليه بما هو أهلُه .

ومن دعاء سليمان :

لمَّا سَمِع سليمانُ من النملة ورأىٰ ما سرَّه توجَّه إلىٰ الله بالدعاء أن يُلهِمَه شُكرَه ، وأن يُثبِّتَه علىٰ ذٰلك ، وأن يكفَّه عن نسيان الشكرِ وعما يُسخِطُ الربَّ فقال: " رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ " أى : أَلْهِمنى أن أشكرَ نعمتَك التى منَنْتَ بها علىَّ مِن تعليمى منطِقَ الطير والحيوانِ ، ومن إلهامك - ياربِّ - النملةَ حُسْنَ الظنِّ بى وبجُندى ، وعلىٰ ما أنعمتَ به علىَّ وعلىٰ والدَىَّ من التوحيد والإسلام والإيمانِ بك وغير ذٰلك من خيْرى الدنيا والآخرة .

وإنه بالشكر تدومُ النعمُ بفضل الله وإحسانِه وتزداد ، ثم قال: "وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ" وهٰذا دعاءٌ بِحُسْن الخاتمة ، أى: إذا توفَّيتنى - يارب - فألحِقْنى بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلىٰ من أوليائك ، واجعلنى فى عِداد الصالحين فى جنات النعيم .

وفى دعاء سليمانَ عليه السلام : أن يُثبتَه علىٰ طريق الشاكرين ، وأن يحفظَه من الغفلة عن الشكر ، ويكفَّه عن نِسيان قدْرِ النعمة وعمَّا فيه غضبُ الربِّ تعليمٌ لنا ، وتنبيهٌ ، فهٰؤلاء هم القدوةُ فى العلم بالله ، وفى التوجيه إلىٰ ما فيه الخيرُ والصلاح ، ولقد حثَّنا القرآنُ علىٰ شكر

المنعم ودعانا الرسولُ الحبيبُ صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ حمْد اللهِ والثناءِ عليه ولزومِ طاعتِه وشكرِه ، واللهُ عزوجل يَعِدُ عبادَه الشاكرين بالمزيد من الخير والفضلِ بإحسانه سبحانه فيقول: " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ "(1) .

ولقد سأل سليمانُ ربَّه حُسْنَ العاقبة ، لأن الصالح من عبادِ اللهِ مَنْ هو مختومٌ له بالسعادة ، وهٰذا يدعونا إلى الازدياد من الصالحات ، وعدمِ الغرور بالطاعات ، وإلىٰ استدامة الخوفِ من الله عزوجل حتىٰ الممات ، والمداومةِ علىٰ شكره وطاعته ، مع سؤاله سبحانه التثبيتَ علىٰ الطاعة وعلىٰ التوحيد الخالص حتىٰ نلقاه ، ونحن على الإخلاص والمحبة والوقوف عند حدوده وحمْدِه وشكره ، مع التعلق بالرجاء فى رحمته وعفوه ورضاه وجوده وكرمه .

" وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ " :

وهٰذا من احوال سليمانَ مع جنده ، ومما جرىٰ له فى مَسِيرِه الذى كان فيه مِنَ النَّمل مَا كَان .

والتفقُّد : طلَبُ ما غاب عنك من شىء ، والطير : اسمٌ جامع والواحدُ طائر ، والمرادُ بالطير فى الآية جِنْس الطير وجماعتها ، وكانت تصحَبُه فى سفَره وتُظِلُّه باجنحتها ، فاراد عليه السلام معرفةَ الموجود منها من غيره .

وفى التعليل لتفقُّده الطيرَ قالت جماعة : إنما كان ذٰلك بحسب ما تقتضيه العنايةُ بامور الدولةِ والاهتمامُ بالرعايا لا سيما الضعفاءُ منها ، وهٰذا ظاهرُ الآية .

----

(1) إبراهيم : 7 .

وقال محمد بنُ إسحاق : كان سليمانُ عليه السلام إذا غدا إلىٰ مجلسه الذى كان يجلس فيه : تفقَّد الطير ، وكان فيما يزعُمون يأتيه نُوَبٌ من كل صنف من الطير - كلَّ يومٍ طائر - فنظر فرأىٰ من أصناف الطير كلِّها مَن حضره إلا الهدهد: " **فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ** " أخطأه بصَرى من الطير ، أم غاب فلم يحضُر ؟ .

وقال عبدُالله بنُ سلام : إنما طلَب الهدهدَ لأنه احتاج إلىٰ معرفة الماء ، علىٰ كم هو من وجْه الأرض ، لأنه كان نزل فى مَفازة عُدِمَ فيها الماء ، وإن الهدهدَ كان يرىٰ باطنَ الأرض وظاهرَها ، فكان يُخبر سليمانَ بموضع الماء ، ثم كانت الجِنُّ تُخرجُه فى ساعةٍ يَسيرة ، تسلخُ عنه وجْه الأرض كما تُسْلَخُ الشاة .

وقيل : سأل ابنُ عباس عبدَالله بن سلام : لِمَ تَفَقَّدَ سليمانُ الهدهدَ دون سائرِ الطير ؟ قال: احتاج إلىٰ الماء ولم يَعرف عُمقَه - أو قال : مسافتَه - وكان الهدهدُ يَعرِف ذلك دون سائرِ الطير فتفقَّده ، وقالوا: كان الهدهدُ مهندسًا .

إذا جاء القدَرُ عَمِىَ البصَر :

ومن اللطائف : أن نافعَ بنَ الأزرق سَمِع ابن عباس يذكُر شأنَ الهدهد ، فقال له : قِفْ ياوقَّاف ؛ كيف يَرىٰ الهدهدُ باطنَ الأرض ، وهو لا يرىٰ الفَخَّ حين يقعُ فيه ، فقال ابن عباس عبارةً صارت مَثَلًا ، قال: إذا جاء القدَرُ عَمِىَ البصَرُ ، وذَهَبَ الحَذَرُ .

قال ابن العربى : ولا يعرفُ هٰذا الجوابَ إلا عالِمُ القرآن .

وفى هٰذا المعنىٰ أنشد بعضُهم حكمةً بليغة فقال :

إذا أراد اللهُ أمرًا بامرىءٍ وكان ذا عَقْلٍ ورأْيٍ وَنَظَرْ

وحيلةٍ يُعْمِلُها فى دَفْعِ ما ... يَأْتِى به مكروهُ أسبابِ القَدَرْ

غَطَّىٰ عليه سمْعَه وعقْلَه ... وسَلَّه مِن ذِهْنه سَلَّ الشَّعَرْ

حتىٰ إذا أنْفَذَ فِيه حُكْمَه ... رَدَّ عليْه عَقْلَه لِيَعْتَبِرْ

قال الكلبى : لم يكن فى مَسِيره إلا هدهدٌ واحد .

<u>كُلُّكم راعٍ :</u>

وانظُر إلىٰ الهدهد مع صِغَره وضَعْفه لم يَخْفَ علىٰ سليمانَ حالُه ، بل وسأل عنه حين لم يره بين جماعةٍ من رعيَّته فى حالٍ تقْتضِى أن يراه فيها ، وهٰذا منشؤُه سَعْىُ الإمام لتفقُّد أحوالِ رَعيَّته والمحافظة عليهم ، ولقد كان رسولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يتفقَّدُ أحوال أصحابِه ، ويسألُ عمن يَغِيب منهم ، ويعودُ مرِيضَهم ، ويتابعهم بالتوجيه ، ويستقبل مَن عادَ مِن سفَره منهم ويسألُه عن أحواله وعن مدَىٰ عِلْم أهلِه بعودته فى هٰذا الوقت ، خصوصاً إذا كانت العودةُ ليلاً ، وغير ذٰلك مما يدلُّ علىٰ عِظَم شفقتِه بأمته ، وسَعْيه فيما يُصلِحُها ويُصلِح أفرادَها صلىٰ الله عليه وسلم ، وفى كُتب السنَّةِ من ذٰلك كنوزٌ من القدوة الصالحة ، والقلب الكبير ، والتوجيهِ لما فيه خيرُ الفرد والجماعة .

وفى سيرة خلفائِه الراشدين ومنهم عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه من ذٰلك ما يؤكِّد رحمةَ الإسلام وسموَّ مبادئه إذ جعلت الراعىَ من الرعية بمثابة الأسرة الواحدةِ المتعاونة علىٰ الخير ، وكان عمرُ رضى الله عنه يتفقد أحوال الرعية ، وأحوالَ العاملين فى الدولة بنفسه ، واقتدىٰ بحبيبه صلىٰ الله عليه وسلم فى ذٰلك وفى تفقُّدِ الأسواقِ ، وتقديم النُّصح لأصحاب السلع ، وكان رضى الله عنه يقول : لو أنَّ سخْلة علىٰ شاطىء الفُرات أخذَها الذئبُ لَيُسألُ عنها عمر .

وحسبُه من الفضل والمكانة أنه وهو أعظمُ حكّام عصْره وأقواهم كان ينام تحت الشجرة - إذا اقتضى الأمر - بعيدا عن العمران ، وقد رآه على هذا النحو سفيرُ كِسْرى ، فلمّا عَلِم أنه عمرُ أخذتْه الدهشةُ ، واستولى على قلبه الإعجابُ والتعجبُ ، وقال حِكمتَه المشهورة: عَدلْتَ فأَمِنْتَ فَنِمْتَ ياعُمَر .

" مَالِىَ لا أَرَى الهُدْهدَ " :

لمّا تفقّد سليمانُ عليه السلام الطير قال : ما لِلْهُدهدِ لا أراه ، وقيل : إن قولَه : " **مَالِىَ لا أَرَى الْهُدْهُد** " مبنيٌّ على أنه ظَنَّ حضورَه ، ومَنَع مانعٌ له من رؤيته ، أى : عدم رُؤيتى إياه مع حضوره لأى سبب ؟ : أَلِسَاتر أم لغيره ؟ ثم لاحَ له أنه غائبٌ ، فأضْرب عن ذلك ، وأخذ يقول : " **أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِين** " كأنه يسألُ عن صِحة ما لاحَ له ، فأَمْ هى المنقطعةُ " التى تأتِى بمعنى " بَلْ " ، كما فى قولهم : إنها لَإِبِلٌ أَمْ شَاء ، بمعنى : بَل هى شاء ، أى : بلْ كان مِن الغائبين .

ولما تفقَّد الطيرَ ولم يَرَ الهدهدَ توعَّده بالعقوبة إذا لم يُدْلِ بِعُذْر مَقْبول .

***

إن سليمانَ الحكيم عليه السلام تطلَّب الهدهدَ فلمَّا لم يرَه بحَث عن سبب تأخُّرِه وغَيْبتِه ، ودلَّ ذلك علىٰ تيقُّظ سليمان فى دولته ، وحُسْنِ قيامه وتكفُّلِه بأمور أُمتِه ورعيَّتِه ، حيث لم تخْفَ عليه غيبةُ طيرٍ هو من أصغر الطيور لم يحضرْ ساعة واحدة ، فلمَّا لم يجِد الهدهدَ فى موقعه توعَّده بالعقوبة علىٰ غيابه إلَّا إذا أدلىٰ بحجَّة مقبولة ، وقدَّم سببا بَيِّنا يُبَرِّرُ به تَرْكَ موقعِه دون أن يُخْبِر بذلك : " **وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ، فَقَالَ: مَالِىَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِين * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ، أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُّبِين** " (٢٠و٢١) وذلك يدلُّ علىٰ كمال سياستِه عليه السلام وعدلِه فى أمته .

لم يجزِم الرجلُ الحكيم بالعقوبة بل استثنىٰ ، وتركَ الحُجَّةَ للغائب حتىٰ يعود ، فإن كان الغيابُ ، وتَرْكُ الموقِع لمصلحة كان ذلك سُلطانا مُبينا اى: حجةً بيِّنةً كافيةً للعفْو عنه ، وإلا فالعقوبة ، وهٰذا هو الحزْم فى الأمور وان يملكَ المرءُ نفسَه فى موضِع الغيْظ ، وان يتركَ الفرصةَ لسماع وِجْهَةِ النظر والوقوف علىٰ الأسباب ، والسعْى لمعرفة الحقيقةِ من مظَانِّها الصحيحة .

امَّا العذابُ الشديدُ الذى توعَّده به فاختلفت الآراءُ فيه : أبدنىٌّ هٰذا العذابُ أم نفسىٌّ ؟ أم هما معًا ؟ فقيل : إن تعذيبَه كان سيتمُّ بجعْل الهدهدِ مع أضدادِه عقابا له على إخلاله بالنظام ورُتبتِه ، وفى هٰذا ما فيه من الإيلام النفسىّ ، وقد جاء فى المثَل : أَضْيَقُ السُّجونِ مُعاشَرَةُ الأضدادِ ، ولقد تحدَّث أمامى عند لقاءٍ فى مِنًى فى مَوسِمٍ مِن مواسم الحجِّ رجلٌ من رجال الدعوةِ والوعْظ بما مضمونُه أن السلطةَ فى بلده - فى فترة قبل نحوِ تِسْعِ سنوات(١) - أدخلته فترةَ السجنَ لأمر مَّا ثم دفَعَتْ إلىٰ حُجرته

----
(١) وقد تمت كتابة هذا فى أواخر عام ١٤١٠هـ وأوسط عام ١٩٩٠م .

الصغيرة واحدةً مِمَّن أُبْعِدْنَ - وهذه نون النِّسوة - عن الناسِ وعُزِلْنَ عن المجتمع لِفَرْطِ مُجونِهِنَّ ، فكان عذابُ الرجلِ الفاضلِ مضاعَفًا ، واشتدَّ ضِيقُ سِجْنِهِ على نفسه وقلبِه بوجود الأضدادِ - جِدًّا - معه ، حتَّى فرَّج اللهُ كربتَه .

<u>قصة فيها لنا عبرة</u> :

وفى هذا المساقِ نذكرُ استطرادًا قصةَ دانيال النبيِّ عليه السلام الذى حبَسه بُختنصَّرُ ، وأَمر بإلقاء أسَدَيْن ضارِيَيْن معه فى جُبٍّ مُغْلَق ، وبعد خمسة أيامٍ أَمَر بختنصرُ بفتح غِطَاء الجُبِّ ونظَر ، فرأى دانيالَ النبيَّ قائمًا يُصلِّى ، أمَّا الأسدان فوقَف كلٌّ منهما فى ناحيةٍ من الجُب لم يَعْرِضَا له بسُوء ، وكأنهما حارسان ، فطلَبه بختنصرُ وسأله : أخبِرْنى ماذا قلتَ ، فَدُفِع عنْك ؟ قال: قلتُ :

الحمدُلله الذى لا يَنْسَى مَن ذَكَره .
الحمدُلله الذى لا يَكِلُ مَن توكَّل عليه إلى غيره .
الحمدُلله الذى هو يَقِينا حين تنقطعُ عنَّا الحِيَل .
الحمدُلله الذى هو رجاؤُنا يوم تَسُوء ظُنونُنا ، وأعمالُنا .
الحمدُلله الذى يَكْشِفُ خِزْيَنَا عند كَرْبِنَا .
الحمدُلله الذى يَجْزِى بالصَّبر نَجَاة .

" عن كتاب الشكر لابن أبى الدنيا - وأخرجه الكاتب - "

ثم نعود إلى ما هدَّد به سليمانُ الهدهد : وقيل توعَّده : بإيداعه القفص ، وقيل : بإلزامه خدمةَ أقرانه ، وقيل : بتبعيده عن خدمته وقيل : بِنَتْف ريشِه وتَرْكِه مُلقىً يأكلُه الذَّرُّ والنملُ ، أو بأن يجعلَه للشمس بعد نَتْفِه .

قال القشيرى : وتعيينُ ذلك العذابِ الشديد غيرُ ممكن قطْعًا - أى بمجرد الرأى - إلا تَجويزًا واحتمالًا فإن وُجِدَ فى شىء نَقْلٌ - صحيحٌ ثابت - فهو مُتَّبَع .

وقـد جـاء فى الأثـر : أن بعض الطـير اسـتقبل الهـدهـد عنـد عـودتـه وسـأله عن غيـابه ، وأخـبره أن سـليمانَ قـد نـذَر دمَـه ، فقـال الهـدهـد : هـل استثنَى ؟ فقـالوا نعـم ، قـال : " أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ " أى حجـة بَيِّنـة مقبـولة ، فقـال الهـدهـد : نجـوتُ إذَن .

وقيـل : إن هـذا الهـدهـدَ كان بـارًّا بوالديـه ينقـلُ الطعـامَ إليهما فَيَزُقُّهما فى حـال كِبَرِهمـا ، لهـذا صَرَفَ اللـهُ عنـه عـزْمَ سـليمان علىٰ عقـوبتـه ، أى : وهـداه إلىٰ الاسـتثناء ، وتعليق العقـوبةِ علىٰ شـرْط بأنْ تَوَقَّـفَ حتىٰ يسمَعَ حُجَّةَ الهـدهـدِ وبيِّنتَـه عن سـبب غيـابـه .

عـودةُ الهـدهـد :

ورجَـع الهـدهـدُ إلىٰ موقعـه ، ودخَـل إلىٰ مجلس سـليمان ، وقـد أرْخَـىٰ ذنَبَـه وجنَـاحيـه يجـرُّهما علىٰ الأرض تواضعًـا وأدبـًا ، وكـان غيـابُـه زمنًـا يسـيرًا علىٰ قـدْر الحـاجـة التى قصَـدهـا : فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ " أى : غـاب زمـانًا غـيرَ مَـديد ، وهـذا يـدلُّ علىٰ سـرعة رجـوعِـه خـوفًا من العـقـوبـة ، وانضبـاطًـا مـع حـركةِ الدولـةِ ومواقـعِ العـاملين .

ومكَـث ومكُـث - بفتْح الكاف وضمهـا - معنـاه : أقـام ، يقـال مـكَـث يمكُـث مكُـوثا مِثـل : قعَـد يقعُـد قعـودا - بفتح وسـط الماضـى وضـمـه فـى المضـارع - ومكُـث يمكُـث : بالضـم فيهما مثـل ظـرُف يظـرُف .

والضمير فى " مكَـث " للهـدهد ، وقيل : الضمـير " الفاعـل " لسـليمـان ، والمعـنى : بَقِـىَ سـليمانُ بعـد التفقُّـد والوعيـدِ زمنـا غـيرَ طـويل .

من العـبر :

وفى قصـة هـذا الهـدهـد دروسٌ وعِـبَرٌ ينبغـى لنـا التفـكُّرُ فيها ، والبحـثُ عنهـا ، للعبرة والعظـة ، منهـا مـا جـاء علىٰ لسانه فى تقـديم اعتـذاره قال: " أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ " أى : اطـلعـتُ علىٰ مـا لـم تطـلع عليـه أنـت ولاجنـودُك وعلِمـتُ مـا لـم تعلَمْـه أنـت من الأمـر ، وفى هـذا ما فيـه من براعـة

الاستهلال ، وما يلفتُ السامع فى ابتداء الكلام ، ويبعثُه على الإصغاء إلى اعتذاره ، مع استمالة القلب نحو قبوله ، لأن النفس للاعتذار المُنْبِىء عن أمرٍ بديع أَقْبَلُ ، وإلىٰ تلقّى ما لا تعلمُه أَمْيَل ، وأيّد ذلك بقوله : "وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين " وهو بذلك ألقىٰ بعض الضوء على النبأ الذى أحاط به ، وفسّر إبهامَه نوعَ تفسيرٍ ، وفى الكلام إيحاءٌ بأنه كان يقوم بخدمة مهمّةٍ لسليمانَ عليه السلام ، وفيه ما يُشَوِّق إلى معرفة تفصيل هذا النبأ اليقينِ الصادق ، وقد استطاع الهدهدُ بصدْقه أن يدفعَ عن نفس سليمانَ ما توعّده من العذاب والذبح .

ومن الدروس :

لقد أُوتى سليمانُ النبوةَ والحكمةَ والعلومَ الجمّة وأحاط بمعلومات كثيرة ، ومع ذلك فاجاه الهدهدُ بأمرٍ عظيم أحاط به علمًا ومعرفةً وحَفِظه من جميع جهاتِه ولا عِلْمَ لسليمانَ به ، وفى هذا ردٌّ على مَن قال: إن الأنبياء تَعْلَمُ الغيْب ، وفيه تنبيهٌ له على أن فى أدنىٰ خلْقِ اللهِ تعالىٰ مَن أحاط علمًا بما خَفِىَ عليه أمْرُه لتتحاقرَ إلى سليمانَ نفسُه ، ويتصاغرَ لديه علمُه ، ويكون لطفًا به فى تركِ الإعجابِ الذى هو فتنةُ العلماء ، وأَعْظِمْ بها فِتْنَة ! يقول صاحبُ رُوح المعانى : وفى التنبيه المذكورِ تثبيتٌ منه تعالىٰ لنبيّه عليه السلام على الحمد والشكر ، وهو مما يناسب دعاءَهُ السابق بقوله : " رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ " .

ومن آداب التعليم والتعلُّم التى نأخذُها من الآية الكريمة : أن الصغيرَ يقول للكبير ، والمتعلمَ للعالم عندى ما ليس عندك إذا تحقّق ذلك وتيقّنه ، وله شواهدُ فى حياة أكابرِ الصحابة رضى اللهُ عنهم ... فلقد كان عِلْمُ التيمّم عند عمّار وغيره ، وغاب عن عمرَ وابنِ مسعود حتى قالا : لايتيممُ الجنُبُ ثم نزل الحكْمُ وعَلِمَه الصحابةُ ، وكان حكمُ الإذن فى أن تنفِرَ الحائضُ دون طوافٍ لوداع البيتِ عند ابن عباس ، ولم يعلمْه عمرُ ولا زيدُ بنُ ثابت ، وكان

غسْلُ رأسِ المُحْرِمِ معلومًا عند ابن عباسٍ وخَفِيَ علىٰ بعض الصحابةِ ومنهم المسورُ بنُ مخرمةَ ، والأمثلة كثيرة .

وفي هٰذا دروسٌ جَمَّةُ المنافعِ للمربِّين والمعلِّمين والآباءِ ، وإن المعلِّمَ الناجحَ هو الذى يَستدعِى باسئلته ما لدىٰ طُلابِه من المعارف والمعلوماتِ عن درسِه قبل أن يَصُبَّ المعلوماتِ فى آذانِهم صبًّا ؟ .

<u>ما النبأ الذى جاء به</u> ؟ :

أمَّا الخبرُ المُتَحَقَّقُ الذى جاء به الهدهدُ من رحلته فجاء فى قوله:

" **إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ** " (٢٢ و ٢٣) .

إن المرأةَ هى بلقيسُ ، ويُحْكَىٰ انها حكمتْ اليمنَ بعد اربعين مَلِكًا من آبائها ، وابوها من نسْل يَعْرُبَ بنِ قحطانَ ، وقيل : من نَسْل تُبَّع الحِمْيرىِّ ، ويقال : إن أمَّها من الجِنِّ .

<u>هل تَلِدُ الجِنِّيةُ من الإنسىِّ</u> ؟ :

ويؤكِّد الحسَنُ أن المرأةَ من الجِنِّ لا تَلِدُ من الإنسِىِّ ، وأن المرأةَ من الإنسِ لا تَلِدُ من الجِنِّ ، ويقول الألوسى : ليتَ شِعْرى ؛ إذا حمَلت الجنِّيةُ من الإنسىِّ هل تبقَىٰ علىٰ لطَافتِها فلا تُرَىٰ ، ويَبْقَىٰ الحمْلُ علىٰ كثَافتِه فيُرَىٰ ، او يكون الحمْلُ لطيفًا مِثلَها فلا يُرَيَان ، فإذا تَمَّ أمرُه تَكَثَّف ، وظهَر كسائر بنى آدمَ ، أو تكون مُتَشكِّلةً بشكْل نساءِ بنى آدمَ ما دام الحمْلُ فى بطْنها ، وهو فيه يتغذَّى وينمُو بما يَصِلُ إليه مِن غذائها ، وكلٌّ تفْريع من هٰذا لا يخلُو من استبعاد ! .

أمَّا الزواجُ بين الجِنِّ والإنسِ فإمكانُه قائم ، ونكاحُهم جائزٌ عقْلا ، فإن صَحَّ نقْلًا فَبِه وَنِعْمَت ، ولا شىءَ فى جَوازِ وُقوعِه ، ومن العلماء مَن لم يستبعد التوالُدَ بين الجنِّى والإنسىِّ ، وليس هناك دليلٌ ثابتٌ من حديث صحيحٍ علىٰ أن أُمَّ بلقيس من الجِنِّ ، ولٰكنها حكاياتٌ وُيشير إليها المفسِّرون ، وإن

الظاهرَ علىٰ تقدير وقوع التناكُح بينهما ان لا يكونَ توالُدٌ بينهما ، قال ابن العربى: وهٰذا امر تُنكره الملْحِدةُ ، ويقولون : الجنُّ لا ياكلُون ولا يَلِدون كذَبوا لعنَهم اللهُ اجمعين ، فإن ذٰلك صحيح - اى زواج الإنسىِّ بالجِنّيّة والجِنّىّ بالإنسية - ونكاحُهم جائز عقلًا ، فإن وقَع فلا يُرَدُّ الخبرُ به .

وقد ثبت ان الجِنَّ ياكلون كلَّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه ، وقد جاء الخبر بذٰلك فى صحيح مسلم كما جاء النهى عن الاستنجاء بالعظْم والرَّوْثة لأنهما طعامُ إخواننا الجِنِّ ودوابِّهم ، وجاء فى البخارى عن ابى هريرة قال : قلتُ : ما بالُ العظْم والرَّوْثة ؟ فقال صلىٰ الله عليه وسلم : " هما من طعام الجِنِّ .. " الحديث ، وهٰذا كلُّه نصٌّ فى انهم ياكلون .

<u>خلافةُ المراة وولايتُها فى الإسلام :</u>

بلقيس كانت ملكةَ سبأ فى ذاك العهد الضارب فى القِدَم ، وكانت دولتُها قوية ، ولها جيشٌ عظيمُ العَدد ، حَسَنُ الإعداد والتنظيم كما تدل علىٰ ذٰلك الأخبارُ الواردة .

فهل اباح الإسلامُ للمراة تولِّى هٰذه المناصب التى تحتاج إلى جَلَد ، ومُقارَعة ومُخالطَة ، وطاقةٍ عالية ، وقُدرةٍ علىٰ بذْل جُهْدٍ كبير مع الصبر والأناة والحِكمة ؟ حقًّا .. قد يكون فى بعض النساءِ شىءٌ من هٰذه الصفات ومع التعلُّم واكتساب الخِبرة تنمُو هٰذه الخصالُ لدىٰ المراة ، ولٰكنها مع ذٰلك تبقَىٰ امراة لها مكانتُها وصيانتُها ولطَافتُها ورِقَّتُها ولها دورُها الحيوىُّ فى بناء الأمة وينبغى لها ان توجِّه كلَّ لَطافتها وقدراتِها الخاصة لأداء الدور المناسب لها . وهو بناءُ الأُسرة ورعايتُها اولًا ، والأسرة اخيرًا ، وما بين ذٰلك نافلةٌ بالنسبة لها وفى الحدود الملائمةِ لها .

وقد جاء فى البخارى من حديث ابن عباس ان النبى صلىٰ الله عليه وسلم لمَّا بلغَه ان اهل فارس قد مَلَّكُوا بنت كِسرىٰ قال: " لن يُفْلِح قوْم ولَّوْا امرَهم امراة " قال القاضى ابو بكر بنُ العربى : هٰذا نصٌّ فى ان المراةَ لا تكونُ خليفةً ، ولا خِلافَ فيه .

واعترض القاضي ابو بكر علىٰ مَن قال بجواز أن تحكمَ المرأة - وهو أبو الفرج بن طرار الشافعى المذهب فى مناظرته ابن الطيب المالكى - لأن الغرض من الأحكام تنفيذُ القاضي لها ، وسماعُ البيِّنة عليها ، والفصلُ بين الخصوم فيها ، وذلك ممكن من المرأة كإمكانه من الرجل !! فاعترض علىٰ هذا القاضى ابو بكر ونقَضَ كلامَ مَن قال به بالإمامة الكُبرىٰ : فإن الغرض منه حِفْظُ الثُّغور ، وتدبيرُ الأمور ، وحمايةُ البَيْضَة ، وقبضُ الخَراج ، وردُّه علىٰ مُستحقِّه ، وذلك لايتأتَّىٰ من المرأة كتأتِّيه من الرجل ، ثم قال : فإن المرأة لا يَتأتَّىٰ منها أن تبرُزَ إلىٰ المجلس ، ولا تخالطَ الرجال ، ولا تفاوضَهم مفاوضةَ النظيرِ للنظير ، لأنها إن كانتْ فتاةً حَرُم النظرُ إليها وكلامُها ، وإن كانت بَرْزَةً(1) لم يجمعْها والرجال مجلسٌ واحد تزدَحِم فيه معهم ، وتكون مناظِرةً لهم ، ولن يُفلِح قومٌ قطّ مَن تَصَوَّرَ هذا ولا مَن اعتقَده .

وقد جاء فى القرطبى : وقد رُوى عن عمرَ أنه قدَّم امرأةً علىٰ حِسْبَة السُّوق ، ولم يَصِحّ فَلا تَلتفِتُوا إليه ، فإنَّما هو من دسائس المبتَدعةِ فى الأحاديث .

وقد جاء فى كتاب الأحكام السلطانية : وشذَّ ابنُ جرير فجوَّز قضاء المرأة فى جميع الأحكام ، وهذا رَدَّه القرطبى - أيضا - فى تفسير سورة النمل بقوله: لم يصحّ ذلك عنه وهذا هو الظنُّ به ، وقال الماوردى : ولا اعتبارَ بقولٍ يردُّه الإجماعُ مع قولِ الله تعالىٰ: " ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم " الآية .

***

---

(1) البرْزة هنا : الكهْلة التى لا تحتَجب احتجابَ الشَّوابِّ ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم .

٩ جنديٌّ حَصيف فى أُمَّة عظيمة « الهدهد نَاقِدًا وَوَاعظًا »

بلقيسُ ملَكَتْ علىٰ مدائن اليمن ، كانت ذاتَ دولةٍ عظيمة ، وعرشٍ كبير وتوافر لدولتها ما تحتاج إليه من أسباب القوةِ والمنعَةِ والكِفاية ، مما يساعِد علىٰ التمكين ، ويجعلُ الحكومةَ القائمةَ مَهِيبةً ، مخشيةَ الجانبِ ويقال كانت حاضرتُها بمأرِب علىٰ ثلاثة أميال من صنعاء .

وقد جاء وصْفُ مملكِتها علىٰ لسان هدهد سليمان عليه السلام بعبارات فيها إيجاز وإعجاز تناولت الظواهرَ والبواطنَ ، أو ما يدلُّ علىٰ قوة الدولة فى ذاك الزمان ، وعلىٰ معتقَدات أهلِها وتوجُّهاتِهم ، قال الهدهد لسليمان : " **إِنِّى وَجَدْتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم** " وقد يُطْلَق لفظُ العرْشِ علىٰ ما يدلُّ عليه وهو المُلْك والدولةُ القويةُ ، إلا أن مساق الآيات يدلُّ علىٰ أن المرادَ عرشُ المَلِكة ، لقوله تعالىٰ علىٰ لسان سليمان " **أَيُّكُم يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا** " أى : بسريرها أو كرسيها الخاص بها .

ويُعلِّق بعضُ المفسرين ومنهم صاحبُ غرائبِ التنزيل الإمام زين الدين محمد الرازى الحنفى المتوفَّىٰ (٦٦٦هـ) فى حوارٍ بديع علىٰ الآية الكريمة فيقول:

فإن قيل : كيف استعظم الهدهدُ عرشَها مع ما كان يرىٰ من مُلك سليمانَ عليه السلام حتىٰ قال: " **ولهَا عَرْشٌ عَظِيم** " .

قلنا : يجوز أنه استصغر حالَها بالنسبة إلىٰ حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش .

الأمرُ الثانى : أنَّه يجوز أن لَّايكونَ لسليمانَ مِثْلُه ، وإن عظُمت مملكتُه فى كل شىء ، كما يكون لبعض المرءوسين شىءٌ لا يكون لرئيسه مثله ، وكما يكون لدىٰ بعض المحكومين شىءٌ ليس للحاكم مثلُه .

فإن قيل : كيف قال الهدهد : " **وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْء** " مع قول سليمانَ صلواتُ الله عليه : " **وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْء** " فكأنَّ الهدهدَ سوَّىٰ بينهما .

قلنا : بينهما فرقٌ ، وهو : أن الهدهدَ أراد به ، وأُوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا لأنه عطف على المُلك ، أمَّا سليمانُ فأراد به : وأُوتينا من كل شيء من أسباب الدينِ والدنيا ، ويؤيد ذلك عطفه على المُعجزة وهى : منطِقُ الطير اى فى قوله " **عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْء** " .

فإن قيل : سوَّىٰ الهدهدُ بين عرْش بلقيسَ وعرْش اللهِ تعالىٰ فى الوصف بالعِظَم حتىٰ قال : " **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم** " وقال : " **رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم** " .

قلنا : بين الوصْفين بَوْنٌ عَظِيم ، لأنه وصَفَ عرشَها بالعِظَم بالنسبة إلىٰ عروش أبناءِ جنسِها من الملوك ، ووصَف عرشَ اللهِ تعالىٰ بالعِظَم تعظيمًا له بالنسبة إلىٰ ما خَلَق من السمٰوات والأرض وما بينهما .

الغضب في الله :

لقد وصَف الهدهدُ ما كانت عليه بلقيسُ من المُلك القوى والعرش العظيم والمال ، فلم يتغيَّر عليه السلام لذلك ، ولم يستفزَّه الطمعُ ، ولم يَغِظْه شىء من هذا ، ولٰكن الهدهدَ لمَّا قال : " **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُون لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللَّهِ** " فعند ذلك غَضِب سليمانُ فى الله ، وغاظه الانحرافُ عن الفِطرة ، وأن يكونوا علىٰ الشرك و " **قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِين** " .

لقد اخبر الهدهدُ انهم كانوا صابئةً وثنيِّين يعبدون الشمسَ من دون الله ، مع أن الله وهَبهم من الذكاء والقدراتِ العقليةِ ما مكَّنهم من إقامة دولةٍ قوية ، شأن الدول الملحدة في عصرنا الحاضر ، وفى عصور سابقة ، إذ لم يستخدِموا العقلَ استخدامًا صحيحًا فى النظر في الدلائل والبراهين

الشاهدةِ بوجود الخالقِ ووحدانيتِه وكمالِ قدرتِه وسلطانِه " وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ " أى : ما هم فيه من الكفر والإلحاد " فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ " أى : عن طريقِ التوحيدِ والحقِّ " فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " إلى اللهِ وتوحيدِه .

فانظُر إلى منطِق الهدهد ، ودقتِه فى نَقْل الخبر ، وإعطائِه كلَّ امرٍ حقَّه من الوصْف والتحليل ، ففى الجانب المادىّ رأى أمَّةً قويةً توافرت لها كلُّ أسبابِ الكفاية والمنَعة ، امَّا من الجانب الروحىّ فهناك اعوجاجٌ وبُعْدٌ عن دين الفِطرة ، وغفلةٌ عن النظر فى الآيات الكونيةِ نَظَرَ استدلالٍ وتَفهُّمٍ على نحوِ ما قال الشاعرُ فى الجاهلية :

فياعجَبًا: كيْفَ يُعْصَى الإلهُ   أمْ كيْفَ يَجْحَدُه الجاحِدُ ؟

وفى كلِّ شىءٍ له آيةٌ   تدلُّ على انه واحِدُ

لقد زيَّن لهم الشيطانُ الا يسجُدوا لله خالقِ الكون ، ومالكِ المُلكِ ومدبِّر الأمر ، وبيده الحياةُ والموتُ ، والغِنَى والفقْرُ ، والصحةُ والمَرض ولايقع فى الكوْن إلا ما يُريده ، وقد وهَب بفضله الإنسانَ العقلَ والقدرةَ على الفهْم والتمييز ، وارسل الرسلَ ، وانزلَ الكتبَ لتبصير العبادِ وإقامةِ الحُجَّة عليهم ، ولفتَنا سبحانه إلى آثار قدرتِه، وآثارِ رحمته فى السمٰوات وفى الأرضِ وما بينهما وإلى تسخيره هذا الكونَ العظيمَ لمنافع الإنسانِ ولترقيةِ حياته ، وكيف امدَّه بالأسباب الموصِّلةِ إلى الغايات ، واودَع الأرضَ من البركات والخيراتِ ما يَجِلُّ عن الحصْر ، وإن السُّنَنَ الكونيةَ كلَّها وعظمتَها واتِّساقَها لَمِن أوْضَح الأدِلَّة على وجود الصانع الحكيم ، وعلى وحدانيتِه وعلى كمال عِلمِه ، وكمالِ تدبيره ، وكمالِ قُدرته: " قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ " يونس : ١٠١ .

الهدهد يدعو إلى الخير :

لقد استبشع الهدهدُ عقيدةَ الزنادقةِ المُلحدين ، وهو من أمة توحِّد ربَّها ، وتسبِّح بحمده ، وتعظِّمه : " **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** " الرعد : ١٥ .

اى : إن جميع مَن فى السمٰوات والأرضِ من الملائكة والثَّقَلين وغيرِهم خاضعون لعظمته ، منقادون لأحكامه إيجادا وإعداما ، شاءوا أم أَبَوْا من غير مُداخَلَةِ حُكم غيرِه ، ويَستوى فى ذلك مؤمنُ الثَّقلين وكافرُهم ، إلا أن المؤمنَ خاضعٌ بِذاته وبظاهرِه منقادٌ لأمر ربِّه ، والكافرُ خاضعٌ بذاته مُتمرِّدٌ بظاهره مُلحِدٌ باختياره ، وتنقادُ له تعالىٰ ظِلالُ مَن له ظِلٌّ منهم ، فهى تحت قهْرِه ومشيئتِه فى الامتداد والتقلُّص ، والفَىْء والزَّوال ، إذ الحركةُ والسكونُ بيده تعالىٰ ، والمتحركُ والساكنُ فى قبضته ، وجميعُ الأجرام خاضعةٌ لمقتضَىٰ السَّنَنِ الكَوْنىِّ الذى أوجده اللهُ عزوجل علىٰ غاية من الإحكام والاتِّساقِ إلىٰ أن تُبَدَّلَ الأرضُ غيرَ الأرض والسمٰواتُ وتطلُعَ الشمسُ من مغرِبها وتتهاوَىٰ كما تتهاوَىٰ سائرُ النجوم والكواكب فسبحان مَن له الحُكم والأمرُ ، سبحان مَن تُسبِّح له السمٰواتُ السبعُ والأرضُ ومَن فيهن : " **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** " الإسراء : ٤٤ .

قَبَّح الهدهدُ عمَلَ المُلحدين ، ودعا إلىٰ عبادة اللهِ وحده ، وحثَّ علىٰ السجود له سبحانه وحده ، ولفَت العقلاءَ إلىٰ آثار قدرتِه سبحانه فى السمٰوات والأرضِ وآثارِ رحمتِه بهم فى إيجازٍ بليغ ، وإعجاز " **أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ** " .

والخَبْءُ : ما خَفِي فى غيره ، وإخراجُ الخَبء : إظهارُه ، وهو يعمُّ ما فى السمٰوات من البركات ، وما فى الأرض من الخيرات ، ومن بركات السماء: إشراقُ الكواكب ، وضوءُ النجوم ، وإنزالُ الأمطار ، ومن بركات الأرض

النباتُ ، والمعادنُ ، والنفطُ ، وسائرُ ما يكشفُ عنه العلمُ من دفائنها وكنوزها للانتفاع به في ترقية حياةِ الإنسان بفضْل الأسباب التي هُيِّئَتْ له وهٰذا كلُّه يدعو إلىٰ إجالة الفكر ، وإنعام النظَر للاستدلال بالمصنوع علىٰ وجود الصانع ، وبعظمةِ الكونِ واتِّساقِه وانتظامِه وتسخيره علىٰ تفرُّدِ الخالقِ بكمالِ القدرة ، وكمالِ العلم ، وكمالِ الرحمة ، مما يُوجِب علىٰ العقلاء إفرادَه بالإلٰهيّة ، وتوجيهُ القُوىٰ النفسيةِ والبدنيةِ لعبادته وحده ، والسجودِ له وحده ، والإذعان لأمره .

وإذا كان للإنسان فِكْرَه فَفِي كُلِّ شيءٍ لَهُ عِبْرة .

مثّلا تأمَّلنا تعاقُبَ الليل والنهار علىٰ سَنَن لا يختلُّ بحسب الفصول ، كيف يَغيب عن أهل الحكمةِ والتبصُّر تدبُّرَ هٰذا الانسجامِ والترابطِ أو بعبارة تُقرِّبُ المعنىٰ : هٰذا التعاون الوثيق بين السماء والأرض الذي لولاه لهلك الزرعُ والضرع ولانتهت الحياةُ على الأرض .

كيف يتم ذٰلك علىٰ هٰذا النحو البديع الرائع ؟

هل لنا غِنًى عن ضوء الشمس ، وعن نور القمر ، ولمعان النجوم !

هل لنا غِنى عن قَطْر السماء ؟ وعن الريح والنسيم ؟

كيف حصلت هٰذه الدفائنُ في باطن الأرض ؟

هل يمكن أن يتمَّ ذٰلك كلُّه وغيرُه بمحْض الصُّدفة ، وتُوجَد هٰذه المخلوقات ويتحقق هٰذا الانسجامُ والترابطُ والتعاون بين هٰذه الأجرامِ الهائلة دون تدبيرِ عليمٍ حكيم خبير قديرٍ قوى مهيمن جبارٍ لا يغفُل ولا ينام ، له كلُّ صفات الكمال ، وكلُّ نُعوت الجلال والجمال ، ولا يمكن أن يتصور في الأفهام أن يكونَ له نِدٌّ ، وإنَّه لاشريكَ له ، ولا مشيرَ ، ولا وزيرَ ، ولا صاحبةَ ، ولا ولدَ وإن الإنسانَ من آياته ، والعقلَ من براهينه الدالةِ علىٰ كمال سلطانه ، وكل جِرْم صغير أو كبيرٍ في الكون ينطقُ بكمال حكمته ، وما يُكشِفُ عنه العلمُ

كل يوم من خَبْء السموات والأرض شاهِدٌ فصيح على كمال قدرة الخالق الذى عَلَّم الإنسانَ ما لم يعْلَم ، والذى قال منبِّها عبادَه إلى كمال عظمتِه وعلْمِه " **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** " البقرة : ٢٥٥ .

سبحانه : يعلم ما يُخفيه العباد ، وما يُعلنونه من الأقوال والأفعال " **وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُون * اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم** " أى : هو اللهُ الذى لا معبودَ بحق سواه " **لا إلـه إلَّا هُو** " وهى أعظم كلمة ، من أجلها خُلقت السمواتُ والأرض ، وبها يُمتَحنُ العباد وعليها قامت البراهينُ الساطعة ، والأدلةُ القاطعة فى آفاق النفس وفى الكون المحيط بها ، وكلما تأمل الإنسان ازداد يقينا ، وكلما تجددت الحوداث مع مرور الأيام والساعات هتفت القلوبُ بالوحدانية .

إنها دعوةٌ إلى إطلاق العقْل من إسار الجُمود ، وتقليدِ زعماء الضلال ليجولَ حرًّا مع جمال الكونِ وبَهائِه واتساقِه ، قائلا : إن كلَّ أثَر لابدَّ له من مُؤثّر ، وكلَّ مصنوعٍ له صانعٌ ، وكلٌّ بحسبه: فبابُ دارِى لم يُوجِدْ نفسَه ، وإنَّ الرموزَ المكتوبةَ على الورق لها مؤثِّرٌ ، وإن نفْسي وجسَدى ، وتكويني المادىَّ والمعنوىَّ كلُّ ذلك يَدعوني إلى أن أهتِف من قلبي : لا إلـهَ إلَّا الله ، سبحان الخالقِ العظيم ، ربِّ العرْشِ العظيم آمنتُ بالله .

فماذا كان من سليمانَ بعد أن وقف على أحوال ومعتقداتِ ملكةِ سَبأ ؟

١٠ من العبر في سفارة الهدهد وموقف سليمان عليه السلام من الأمر في جملته

لقد كان هدهدُ سليمانَ داعيًا إلىٰ الحق ، مرشدًا إلىٰ التأمُّل في آفاق الكون ، حاثًّا علىٰ عبادة الله وتوحيدِهِ وإفراده بالإلٰهية (عَقْدًا ونُطقًا وعَمَلًا) ، ولمَّا كان كذٰلك جاء النهي عن قتْله كما جاء عند أصحاب السُّنن عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم : " نَهَىٰ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن قتْل أربعٍ من الدوابِّ : النَّملةِ ، والنحلةِ ، والهدهدِ ، والصُّرَد " قال ابن كثير : وإسناده صحيح .

والصرد : بضم أوله وفتْح ثانيه ، طائر ضخْمُ الرأس أبيضُ البطن أخضر الظهْر ، يصطاد صِغارَ الطير ، وكُنْيتُه أبو كثير ويصفُه الدميري فيقول: وهو أبقعُ ضخمُ الرأس ، يكون في الشجرة ، نصفُه أبيض ، ونصفُه أسود ، ضخمُ المِنقار ، له بُرْثُن عظيم (أصابع) لا يُرىٰ إلا في سعفة أو شجرة ، وهو شَرِسُ النفس ، شديدُ النَّفْرة ، وله صَفِير مختلف ، ويأكل العصافير ، مأواه الأشجار ، ورؤوسُ القِلاع ، وأعالِي الحصون .

كانت العرب تتشاءم بالصُّرد وبصوته ، وعِلَّةُ النهي عن قتله كما قال أبو بكر بن العربي : لأن العربَ كانت تتشاءم به فنهَىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن قتْله لِيخلعَ عن قلوبهم ما ثبَت فيها من اعتقادهم الشُّؤْمَ فيه ، لا أنه حرام .

أمَّا عن النمل : فالمراد النملُ الكبير السُّليماني كما قاله الخطابي والبغوي ونقل عنهما الدميري ، وأما النمل الصغيرُ المسمَّىٰ بالذَّرِّ فقتْلُه جائز ، وكَرِهَ مالك رحمه الله قتْل النمل إلا أن يضرَّ ولا يقدر علىٰ دفعه إلا بالقتل ، وأطلق ابن أبي زيد جوازَ قتْل النمل إذا آذَتْ .

لقد كان الهدهدُ سفيرًا ذا كفاية ، دقيقَ الملاحظة ، صادقًا فيما نقَلَه ، غيورًا على الحق ، لم يُخْفِ من الحقائق التى اطَّلع عليها شيئًا مِمَّا له علاقةٌ بصِلَات الدولِ التى لها رسالةٌ تسعَىٰ إلىٰ نَشْرها ، وتحرِصُ علىٰ الجهاد فى سبيلها لإحقاق الحقِّ وإبطال الباطلِ ، مهتديةً بنور الوحى ، وقد تناول حديثُ الهدهدِ لسليمانَ جانبين أحدهما : يتَّصل بمدنية الدولةِ وأحوالها الماديَّةِ الظاهرة : " وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ " مِمَّا له صلةٌ بقِوَام الدولةِ ، والآخر يتَّصل بمعتقداتها وخروجِها علىٰ مُقتضَىٰ الفِطرة السليمةِ ، والدينِ الصحيح .

قبول عُذْر الرَّعية :

واستمع سليمانُ إلىٰ سفيرِه واحدِ جنودِه ، وسكَت عنه الغضبُ عليه ومع هٰذا أراد بذكاء القاضى ، وحصافةِ الولىِّ ، وحزْم القائدِ الرشيد الاستيثاقَ عن طريق التجربةِ والرجوعِ إلىٰ مصادرَ أُخرىٰ تَزِيدُ الأمرَ تأكيدًا لأنَّ خبَرَ الواحدِ لا يُوجِبُ العلمَ ، ويجبُ التوقفُ فيه علىٰ حدِّ التجويز ، ومع هٰذا لا يُطْرَح بل يَجِب أن يتعرَّف : أَصِدْقٌ هو أمْ كَذِب ؟ .

يقول القشيرى : ولمَّا عرَف سليمانُ عذْرَ الهدهدِ ترَك عقوبتَه وما توعَّده به ، وكذٰلك سبيلُ الوالى ، فإن عدْلَه يمنعُه من الحَيْف علىٰ رعيَّتِه ويقبلُ عُذْرَ مَن وجدَه فى صورة المُجْرمين إذا صَدَق فى اعتذاره .

يقول القرطبى : وفى قوله : " أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين " دليلٌ علىٰ أن الإمامَ يجبُ عليه أن يقبلَ عذْرَ رعيته ، ويدرأَ العقوبةَ عنهم فى ظاهر أحوالِهم بباطن أعذارِهم ، لأن سليمانَ لم يعاقِب الهدهدَ حين اعتذر إليه . وإنما صار صِدْقُ الهدهدِ عُذرًا لأنه أخبر بما يَقْتضِى الجهادَ ، وكان سليمانُ عليه السلام حُبِّب إليه الجهادُ .

ولٰكن للإمام أن يمتحنَ ذٰلك ، وأن يستوثقَ من الحقيقة ، إذا تعلّق بالأمر حُكْمٌ من أحكام الشريعةِ ، كما فعَل سليمانُ فإنه بعد سماعِ الهدهدِ سعَىٰ إلىٰ تحصيل عِلْم ما غاب عنه من ذٰلك ، فقال : " سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ " .

و " سَننظُر " من النظَر بمعنىٰ التفكُّر والتأمُّل والسين للتأكيد ، أي سنتعرف بالتجربة البتة ما ذكرتَه .

<u>سفارة</u> :

أعطىٰ سليمان عليه السلام الهدهدَ كتابًا ليوصلَه إلىٰ بلقيسَ ملكةِ سبأ ، فذهَب الهدهدُ بالكتاب ، وألقاه علىٰ سريرها ، فأخذَتْه فإذا به : " إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ " .

ووقَف الهدهدُ قريبًا يرقبُ الموقفَ ، وينتظر ماذا يَفعلون ؟ وبماذا يُجيبون ؟ .

لم تُردْ بلقيسُ أن تنفردَ بإجابة ، فجمعَت رجالَ دولتِها ، وأهلَ مشورتِها من ذوي الرأي والخبرة ، وأعلمتْهم بالأمر ، وقرأتْ عليهم كتابَ سليمانَ عليه السلام ، فعرَفوا أنه من سليمانَ نبيِّ اللهِ عليه السلام ، وأنه لا قِبَلَ لهم به ، وهٰذا الكتابُ في غاية البلاغةِ والوجَازةِ والفصاحةِ ، فإنه حصَّلَ المعنىٰ بأيْسَرِ عِبارة وأحسنِها .

قال العلماءُ : لم يكتب أحدٌ (بِسْم اللهِ الرحمٰن الرحيم) قبل سليمان عليه السلام .

وورد أن رسول اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم كان يكتب : باسمِك اللهمَّ ، حتىٰ نزلت هٰذه الآيةُ ، فكتب " بِسْم اللهِ الرحمٰن الرحيمِ " .

تعليق وتفهيم :

ومن دقائق التفسير ما جاء فى تعليق الإمام زين الدين محمد الرازى فى غرائب آى التنزيل على قوله تعالى : " **فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** " الآية (٢٨) .

فإن قيل : إذا تولّى عنهم الهدهد ، فكيف يعْلَم جوابَهم .

قلنا : معناه - أولا - : ثُمَّ تولَّ عنهم مستَتِرًا من حيث لا يرونك فانظر ماذا يرجعون .

الثانى : أن فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه : فانظُر ماذا يَرجعون - أى بِمَ يكون جوابُهم - ثم تَولَّ عنهم .

فإن قيل : كيف استجاز سليمانُ عليه السلام - لنفسه - تقديمَ اسْمه فى الكتاب على اسم اللهِ تعالى حتى كتب فيه " **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** " .

قلنا : لأنه عَرَف أن بلقيسَ لا تعرف اللهَ تعالى ، ولكنها تعرف سليمان ، فخاف عليه السلام أن تستخفَّ باسم اللهِ تعالى إذا كان أول ما يقعُ نظرُها عليه ، فجعل اسَمه - عليه السلام - وقايةً لاسم اللهِ تعالى .

وقيل: إن اسمَ سليمانَ كان على(عنوانه)واسمَ اللهِ تعالى كان فى أول (طيِّه) .

والتأكيدُ فى الآية للاعتناء بشأن الحُكمِ أو لوقوعه فى جواب سؤالٍ مُقدَّر كأنه قيل: مِمَّن هذا الكتابُ وما مضمونُه ؟ فقيل: إنه من سليمان ...الخ ويحسن التأكيدُ بإنَّ الناسخةِ فى جواب السؤال ، ويُعْلَمُ من هذا أن الضميرَ فى " **إنَّه مِن سُليمان** " للكتاب نفسه ، وضمير " **وإنَّه بِسْمِ اللَّهِ** " الخ ... لمضمون الرسالة ، وليس فى الآية - كما يقول الألوسى - ما يدلُّ على أنه قَدَّم اسَمه على اسم اللهِ عزوجل .

ولماذا قال سليمان عليه السلام " **فَأَلْقِهِ إِلَيْهِم** " على لفْظ الجمْع ولم يقل " إليها " والضميرُ يعود لبلقيسَ وحدها .

ويُجيب الإمام القرطبى فيقول : لأنه قال " وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ " فكأنه قال : فألقه إلىٰ الذين هٰذا دينُهم ، اهتماما بأمر الدين ، واشتغالا به عن غيره ، وبُنِىَ الخطابُ فى الكتاب علىٰ لفظ الجمع لذٰلك .

وفى هٰذه الآية الكريمة دليلٌ علىٰ إرسال الكُتب إلىٰ غير المسلمين من أهل المِلَل والنِّحَل المختلفة ولرؤوسهم والمقدَّمين منهم وتبليغهم الدعوةَ بالحجة والموعظة الحسنة ، ودعوتهم إلىٰ التوحيد ، وترغيبهم فى الدخول فى الإسلام ، وقد كان النبى محمدٌ صلى الله عليه وسلم يفعل ذٰلك ، كما كتب إلىٰ كِسْرىٰ وقَيْصرَ ، وإلىٰ عدد من المقدَّمين ورؤساء القبائل .

وجوب العناية بالدعوة إلىٰ الإسلام :

ولعلَّ العنايةَ بتوجيه الدعوة إلىٰ الإسلام فى عصرنا الحاضر عن طريق وسائط الاتصالِ المختلفة كالإذاعات المرئيةِ والمسموعةِ والصحفِ والكتب ونحوها من أوجب واجباتِ المسلمين ، وينبغى لأهل الإسلام أن يكونَ لهم فى هٰذا الميدان خِطَّةٌ واعية منسَّقة دقيقة تلتقى علىٰ الأصول والفروع وما اتفق عليه أهلُ السنة الآخذين عن نبيهم صلىٰ الله عليه وسلم .

ولفتة بهٰذه المناسبة :

ومن المطالب المُلحَّة فى هٰذا العصر ألا ينفردَ أحدٌ من رجال العِلم بفتْوىٰ أو رأى فى الأمور ذات الانعكاسات المهمةِ أو التى لها آثارٌ عميقة فى حياة الأمة الاقتصادية والفكريةِ أو فى معتقداتها وعباداتها ، وإنما يَصْدر ذٰلك عن مجمعٍ أو هيئة من عدد من المشهود لهم بالكفاية فى الفِقْه وأصوله وفى علوم السنة وفى التفسير ولهم ضِلعٌ فى علوم اللغة وتُعْرَضُ عليهم الفتوىٰ أو يُطْلَبُ إليهم إصدارُ بيان فى أمر ذى بالٍ يشغل فِكْرَ الاقتصاديين أو المستثمرين أو الناس فى حَجِّهم وصيامهم وسائرِ عباداتهم وخصوصا فيما يتصل بمعتقداتهم المبنية علىٰ التوحيد النقىِّ الخالص الذى لا يجوز أن تشوبَه شائبة من شوائب الشرك لا من بعيد ولا من قريب ، ثم تتولىٰ هٰذه الهيئة أو المجمع إصدارَ الفتوىٰ أو البيان علىٰ أسس مستمدَّة من كتاب اللهِ وسنة رسوله صلىٰ

الله عليه وسلم وبقياس صحيح واجتهاداتٍ تتلاقى فيها وجهاتُ النظر العلمية المُمَحِّصة ، على أن يُتْرَكَ للهيئة بمعاونيها المدَّة الكافية دون عجَلة ، ودون أى مؤثراتٍ أيًّا كان نوعُها ، على أن يكونَ الأساسُ أولا وأخيرا مرضاةَ الربِّ وموافقةَ شرعِه الحكيم ، واتباعَ نبيِّه الأمين صلى الله عليه وسلم .

هذه خاطرةٌ ، أرجو أن تَجِد صَداها ، وقد طرَح الإخوةُ فى الجزائر فى زيارة قريبةٍ أسئلةً عن موضوعات أُثيرت فى الصحف أخيرا فكان جوابى هو مضمونُ ما جاء فى هذا المقال ، وعلينا دومًا أن نذكرَ الحِكمة الثمينة " الرجوعُ إلى الحقِّ فضيلةٌ " ، وإن جمْعَ القلوب على كلمة الحق ، وعلى نور هدايةِ الوحْى هو رائدُ كلِّ مُحِبٍّ لدينه راغِب فيما عند اللهِ من حُسن المثوبة .

<u>اقتراح آخر</u> :

وبهذه المناسبة أقترحُ على أهل الإسلامِ إنشاءَ قِسْمٍ للتخصُّص فى علوم الشريعة: الفِقْهِ وأُصولِه وعلُومِ السُّنَّةِ والتفسِيرِ - خصوصا آيات الأحكام - مع إلمام عميقٍ ودرايةٍ كبيرة بالنَّحو والصَّرفِ والبلاغةِ والإعجاز تُختَارُ له نُخْبَةٌ من الحاصلين على شهادات جامعيةٍ من كليات الشريعة وعلى أن يُعامَلُوا معاملةَ الموظفين وبرواتبَ مجزيةٍ وامتيازاتٍ للسَّكن والنَّقْل والملابسِ والكتُب ورعايةِ أولادِهم فى مراحلِ التعليم لِيُمْضُوا نحوَ خمسِ سنواتٍ بعد الدراسة الجامعية متفرِّغين تماما على أيدى أجِلَّة العلماء الذين يُختارون دون نظَرٍ إلى التقيُّد بالعُمْر الزمنىِّ وسنِّ المعاش ، على أن تتعاونَ جِهاتٌ أو دولٌ عِدَّة فى رعاية هذا المشروعِ وتنفيذه لصالح عددٍ يُختار من دولٍ عِدَّة وجِهاتٍ مختلفة لإمكان تعويضِ فطاحلِ العلماءِ الذين وَهَبُوا أنفسَهم لِلْعلم فى القرون والعقودِ الماضية وقبل عصْر السُّرعة والعجَلةِ وبريقِ الرواتبِ والمزايا والوظائف ، وضغْطِ الحاجةِ إلى تكاليف المعيشةِ التى تتزايدُ فى السنين الأخيرة عاما بعد عام .

ألَا ليْتَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أمْر ...

وحسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل ،،،

***

١١ إنّه من سُليمانَ « ومن أحكام البسملة وبركاتها »

<u>في أدب الرسائل</u> :

كان رسمُ الأُوَلِ من السَّلف وطريقتُهم إذا كتبُوا الرسائلَ أن يبدأوا بأنفسهم : من فلان إلىٰ فلان ، وقد أخرج ابنُ أبى حاتم عن يزيد بن رومان أنه قال كما نقَل الألوسى : كتب سليمان : بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحمٰن الرحِيم ، من سليمانَ بنِ داودَ إلىٰ بلقيسَ ابنةِ ذى شرح وقومِها : " **أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِين** " .

وروى أن نسخةَ الكتاب - كما فى البحر المحيط للعلامة محمدِ بنِ يوسفَ الشهير بأبى حيَّان الأندلسى - : من عبدالله سليمانَ بنِ داودَ إلىٰ بلقيسَ ملكةِ سبأ ، السلام علىٰ مَن اتَّبَع الهُدىٰ : أمَّا بعد : فلا تَعْلُوا علىَّ وأتُونى مُسلمين .

وكانت كتب الأنبياءِ جُمَلًا لايُطيلون ، ولايُكْثِرون ، وطبع الكتاب بالمسْك ، وختَمه بخاتِمه .

وَعَنْوَنَةُ الرسالةِ باسم المُرسِلِ وَيليه اسمُ المرسَلِ إليه كان المُتَعَارفَ عليه ، قال أبو بكر بنُ العربى : كانت رسُلُ المتقدِّمين إذا كتبُوا كتابًا بدأوا بأنفسهم من فلان الى فلان ، وبذلك جاءت الآثار ، وروى الربيع عن أنس قال: ما كان أحدٌ أعظمَ حُرْمَةً من النبى صلىٰ الله عليه وسلم وكان أصحابُه إذا كتبُوا إليه كتابًا بدأوا بأنفسهم .

وكان هٰذا مُتَّبعًا فى فارس إذ يبدأُ العظيم بنفسه ثم المرسَل إليه وإذا اقتضت المصلحةُ أن يبدأَ الكاتبُ باسم المرسَل إليه ثم باسمِه جاز ذلك أى : إلى فلان من فلان ، وقد أشار إلى ذلك أبو الليث فى كتاب البُستان

وقال: لأن الأمةَ قد اجتمعت عليه وفعلُوه لمصلحة رأوها فى ذلك .. ثم قال: والأحسنُ فى زماننا هذا - أى فى عصره - أن يبدأ بالمكتوب إليه ، ثم بنفسه ، لأن البدايةَ بنفسه تُعَدُّ منه استخفافًا بالمكتوب إليه وتكبُّرا عليه ، إلا أن يكتبَ إلىٰ أحد العاملين فى خدمته .

وهذا كما نرىٰ يتوقَّف علىٰ طبيعة كلِّ عصْر ، ونوعِ التوجُّهِ الفِكرى فيه ، وأحوالِ الكبارِ والصغارِ فى نَظرتهم إلىٰ الأمور .

وممَّا يتصلُ بهذا الرسْم من حيثُ الشكلُ - أيضا - أن يُكْتَبَ اسمُ الكاتبِ مثيلًا ، والمكتُوبِ إليْه فضْلًا جَسِيمًا - علىٰ حسب التعبير الواردِ فى محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانى فى المجلَّد الأول - .

ومن الطرائف التوجيهية : أن طاهرَ بنَ الحُسين رأى رُقْعةً - رسالةً - لابنه - إلىٰ الخليفة المأمون العباسى وعلىٰ الرسالة : مِن عبْدِه عبدِاللهِ بنِ طاهر ، فقال طاهرٌ موجِّهًا ومعلِّمًا : يا بُنَىَّ ، أبْدِلْ هذه اللفظةَ شيئًا آخَرَ ، فإنى سمَّيْتُك عبدَالله ، فلا تُشْرِكْ معه فى مُلكه غيرَه .

واستنكر الخليفةُ المَهْدىُّ علىٰ رجُل كتَب إليه وقد كتب علىٰ الرسالة: من : عبدِه فلان ، وقال: لا أعلمَنَّ أحدًا ينسُبُ نفسَه إلىٰ مخلُوق مثْلِه علىٰ عنوان - رسالة - ثمَّ قال الخليفةُ : هذا مَلَقٌ كاذبٌ لايقْبَلُه إلا مفتُونٌ أو مأْفُون .

وكان للسلف عنايةٌ بجوْدة الرسائلِ شكلًا ومضمونًا ، ووصَل كُتَّاب الرسائل فى دواوينِ الحكومةِ إلىٰ مراتبَ عُليا ومنهم عبدُالحميد الكاتب فى أواخر الدولة الأمويةِ وأُسلوبُه يمتاز بالترسُّل والجزالةِ مع قليلٍ من السجْع والازدواجِ وحُسْنِ التشبيهِ وجَوْدةِ الاستعارة ، مع العنايةِ بالمعنىٰ وخِدْمةِ الفِكْرة ، والوزيرُ ابنُ العميد فى القرْن الرابعِ من الهجرة - العصر العباسىّ الثانى - وهو صاحبُ الطريقةِ البديعيةِ التى تُعْنَىٰ بجمال اللفظِ ، والجرْسِ المُوسيقى الناشئ عن السَّجْع والازدواجِ مع قِصَرِ الجُمَلِ ، والترادُفِ ، والعنايةِ بالجِناس ، والطِّباق ، والمُقابلةِ

والإلمامِ بالخَيالِ من تشبيهٍ واستعارةٍ ، مع عناية ابنِ العميد بوضوح الفِكْرةِ والمعانِى ، وإن كانت الناحيةُ اللفظيةُ تأخذ حظًّا كبيرًا،وغيرهما .

وصايا :

ومن وصاياهم ما جاء علىٰ لسان يَزيدَ بنِ المهلب لابنه حين استخلفه علىٰ خراسان: إذا كتبتَ كتابًا فأكْثِر النظَر فيه ، فإنَّما هو عقلُك تضعُ عليه طابعَك ، وإنَّ كتابَ الرجلِ موضِعُ عَقْلِه ، ورَسولَهُ موضعُ رأْيه .

وفى مدْح الرسائلِ الجيِّدة خطًّا ومضمُونا قيل فى كُتب إبراهيم الصولى:

يُوَلِّد اللؤلؤَ المَنْثُورَ مَنْطِقُه ۞ ويَنْظِمُ الدُّرَّ بالأقْلام فِى الكُتب

فالشطرُ الأول فى مدْح معانيه ، والثانى فى مدْح خطِّه .

ومن أقوال الحكماء : كلُّ صناعة تحتاجُ إلى ذكاءٍ إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءَين : جمْع المعانِى بالقلْب ، والحُروف بالقلَم .

وإذا حُيِّيتم :

ومن أدب الرسائلِ أن يَرُدَّ المرسَلُ إليه ، وأن يردَّ التحيةَ بأحسنَ منها أو بمثلِها ، لأن الكتابَ من الغائب كالسلام من الحاضر ، وكان ابنُ عباس رضى الله عنه يرىٰ ردَّ الكتابِ واجبًا كما يرى رد السلام - والله أعلم - .

البسملة :

اتفقوا على أن تُكْتَب " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " فى أول الكتب والرسائلِ ، كما اتفقوا علىٰ خَتْمِها لأنه أبعدُ من الرِّيبة ، وعلى هذا جرَى رسمُ الأقدمين ، وقد ذمَّ عمرُ رضى اللهُ عنه عدمَ خَتْم الرسائل ، وفى الأثر : " كَرَمُ الكِتَابِ خَتْمُه " وقد كان للنبى صلىٰ الله عليه وسلم خاتمٌ منقوش علىٰ فَصِّه " لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ محمَّدٌ رسولُ الله " .

وقد جاء عن الشعبى : أن أهل الجاهليةِ كانوا يكتبون: باسمِك اللهُمَّ فكتب النبىُّ صلىٰ الله عليه وسلم : باسمِك اللهُمَّ ، - كما جاءت الإشارة من

قبـل - حتىٰ نزلـت : " **بِسْمِ ٱللَّـهِ مجْـراهَـا وَمُرْسَـاها** " هـود (٤١) فكتـب النبيُّ صلىٰ اللـه عليـه وسـلم : بِسْم اللـهِ ، ثم نزلـت : " **ٱدْعُـوا ٱللَّـهَ أَوِ ٱدْعُـوا ٱلرَّحْمَـٰنَ** " الإسـراء (١١٠) فكتـب : بِسْم اللـهِ الرحمٰنِ ، ثـم نـزلـت آيـةُ النمـل " **إِنَّـه مِن سُـلَيْمَانَ وإِنَّـه بِسْـمِ اللَّـهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِـيمِ** " فـكـتـب : بسـم اللـهِ الرحمـٰنِ الرحـيمِ .

<u>من احـكام وبركات البسـملة</u> :

اتَّفَـق العلمـاء علىٰ ان : " **بسْـم اللـهِ الرحمٰنِ الرحِـيمِ** " بعضُ آيـةٍ مـن سـورة النمـل ، ثـم اختـلفوا :

هـل البسـملةُ آيـة مسـتقِلَّة فى اول كـل سـورة ؟

او هـى آيـةٌ من كـلِّ سُـورة وقـد كتبـت فى اولهـا "وبـه قـال داود وروايـة عن ابن حنبل " .

او انهـا بعضُ آيـة من اول كـل سـورة " وقد ورد ذلك عن الشافعى "

او انهـا آيـةٌ من الفاتحـة دون غيـرهـا .

او انهـا كُتِبـت للفصْـل بين كـلِّ سـورة واخـرىٰ - مـا عـدا سـورةَ التوبـةِ - وليسـت آيـةً إلا من سـورة النمـل .

١ - قال مالك : ليسـت البسـملةُ بآيـة من الفاتحـة ولا من غيرهـا .

ب - قال عبدالله بنُ المبارك : إنها آيـةٌ من كـل سـورة ، وقـد نُقِـل ذلـك عـن جمـعٍ من الصحابة والتابعين والفقهاء منهم احمـدُ بنُ حنبـل فى رواية عنه .

ج - قال الشـافعى : هـى آيـة فى الفاتحـة ، وتـردَّد قـولُه فى سـائر السـور ، فمـرَّة قال: هـى آيـةٌ من كـل سـورة ، ومـرَّةً قال: ليسـت بآيـة إلا فـى الفاتحـة وحـدهـا .

ولا خِـلاف بينهم فى أنها آيـة من القـرآن فى سـورة النمـل - علـىٰ مـا سـبَق بيـانُه - .

وحُجّةُ الشافعى ما أخرجه الدارقطنى ورواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : "إذا قرأتم : الحمدُلله رَبِّ العَالَمين ، فاقرءُوا بِسْمِ اللّهِ الرحمٰنِ الرَّحيمِ ، إنها أمُّ القُرآن ، وأمُّ الكتاب ، والسبْعُ المثانى ، وبسم اللهِ الرحمٰنِ الرحيم أحَد آياتِها " .

وفى سَند الحديث : عبدُالحميد بنُ جعفر وهو الذى رفَع الحديث وقد وثّقه الإمامُ احمدُ بنُ حنبل وعددٌ من العلماء ، وكان سفيانُ الثورى يُضعِّفُه ويَحْمِل عليه .

وحجةُ ابن المبارك واحد قولى الشافعى ما رواه مسلم عن انس قال: بينا رسول اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهُرنا إذْ اغفَىٰ إغفاءة ، ثم رفَع رأسَه مبتسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يارسولَ الله ؟ قال: نزلتْ علىّ آنفًا سورةٌ فقرا : " **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ** " ثم قال: اتدرُون ما الكوثَر ... " الحديث .

ومَن قال: إنها ليست آيةً من كل سورة رأىٰ : انها فاصلةٌ بين السور ، كما رُوى عن الصحابة : كنا لا نعرفُ انقضاء السورةِ حتىٰ تنزل " **بِسْمِ اللّهِ الرحمٰنِ الرَّحيمِ** " اخرجه ابو داود ، أو تبركًا بها كما اتفقت الأمةُ علىٰ كتْبها فى أوائل الكتب والرسائل .

<u>وفى الصلاة</u> :

وترتَّب علىٰ هٰذا الخلافِ أن المالكيةَ فى المشهور من مذهبهم يرون ألا يَقْرَأ المُصلِّى بها لا سرًّا ولا جهْرًا وهٰذا خلافُ ما عليه الجمهور .

وروى ابنُ نافع عن مالك : ابتداءُ القراءةِ بها فى الصلاة الفرْض والنفْل ولا تُتْرَك بحال .

وقال جمْعٌ من أهل المدينة : إنه لابدّ في الصلاة من " بِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ " وبذلك قال ابنَ عمرَ والشافعيُّ وابنُ حنبل .

وذهب جمْع من العلماء إلىٰ الإسرار بها مع الفاتحة منهم : أبو حنيفة وابنُ حنبل وغيرُهما .

وقد ورد أن النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم كان يَجْهَر بالبسملة في الصلاة وكان المشركون يحضُرون المسجدَ ، فإذا قرأ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم " بِسْمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ " قالوا: هـٰذا محمد يَذكُر رحمٰنَ اليَمامةِ - يَعْنُون مُسَيْلِمَةَ الكذّابَ الذى سَمَّىٰ نفسَه بهـٰذا الاسم - فأُمِرَ النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم أن يُخافِتَ ببسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم ، ونزل " **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** " من سورة الإسراء (١١٠) .

قال الترمذى الحكيم : فَبقِيَ ذلك إلىٰ يومنا هـٰذا علىٰ هـٰذا الرَّسْم وإنْ زالتْ العِلَّة .

والشافعى يَجْهر بالبسملة في الصلاة مع الفاتحة والسورة ، وبه قال جمْعٌ من الصحابة وأهلِ العلم .

والذى عليه العملُ أن تُقْرَأ البسملةُ مع الفاتحةِ في الصلاة ولا تُتْرَك بحال ، وقد جاء الإجماعُ علىٰ صِحَّة صلاةِ مَن جهر بالبسملة ومَن أسرَّ بها - واللهُ أعلم - .

مندوبات :

كما سُنَّ كتابةُ البسملة في أول الكتبِ والرسائلِ لحصول بركتها والتذكيرِ بِهيْبة اللهِ وعظمتِه ورحمتِه ، سَنَّ الشرعُ لنا ذِكْرَ البسملة في أول كلِّ فِعْل : كالأكْل والشُّرب والنَّحر والجِمَاع والطهارةِ وركوبِ البحْر وغيرِ ذلك من الأفعال ، وفي الحديث : " أَغْلِقْ بابَك واذْكُر اسمَ الله ، وأَطْفِئْ مصباحَك واذكُر اسمَ الله ، وخَمِّر إناءَك - غَطِّه - واذْكُر اسمَ الله ، وأَوْكِ

سقاءك - اربطْ عنقه - واذكُر اسمَ الله " ، وقال صلى الله عليه وسلم: " لو انَّ احدكم إذا اراد ان يأتِيَ اهلَه قال : بسم الله ، اللهُمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّب الشيطانَ ما رزقْتَنَا ، فإنه إن يُقَدَّرْ بينهما ولدٌ فى ذلك لم يَضُرَّه شيطانٌ ابدًا " .

وفى تأديبه للصغار كان صلى الله عليه وسلم يقول لعمرَ بن ابى سلمة : " ياغلام سَمِّ اللهَ ، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مِمَّا يَلِيك " .

والله عزوجل يقول: " **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ** " الأنعام (١١٨) .

إنَّ فى بدْء الأفعالِ ببسم اللهِ طلَبَ الاستعانةِ بالله كأنه يقول: بدأتُ بعوْن الله وتوفيقه وبركته ، وفى افتتاح القراءةِ بالبسملة تعليمٌ للعباد ليذكُروا اسمَه سبحانه عند بدء كلِّ امر حتى يكونَ الافتتاحُ ببركة اللهِ جلَّ وعزَّ .

وفى الحديث: " لا وُضُوءَ لِمَن لَمْ يَذْكُر اسْمَ اللهِ عليه " رواه اصحاب السنن عن ابى هريرة وغيره ، وهو حديث حسن .

وقد ورد ان عثمانَ بنَ العاص شكَا إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وجعًا يَجِدُه فى جسَده منذ اسْلم : فقال له: " ضَعْ يدَك على الذى يألَمُ من جسَدك وقُل: بِسم اللهِ - ثلاثا - وقُل سَبْعَ مرَّات : أعوذُ بِعِزَّة اللهِ وقُدرتِه من شرِّ مَا أجِدُ وأُحَاذِر " .

وفى الأثر : " كُلُّ امْرٍ لا يُبْدَأُ فيه بِبِسْم اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ فهو أجْذَمُ " .

***

١٢ "وأتوني مسلمين" دروس من قصة سليمان وبلقيس

بلقيسُ ملكةُ سبأ كانت مَجُوسيَّةً تعبدُ هى وقومُها الشمسَ من دون الله ، وقد عَلِم بهذا سليمانُ الحكيمُ عليه السلام من النبأ اليقين الذى جاء به الهدهد .

وسليمانُ النبيُّ كان مَلِكًا قويًّا حازمًا شُجاعا غيُورا علىٰ الحق والدين ، ومن مَهامِّه الكُبْرىٰ بل وظيفته الأُولىٰ الدعوةُ إلىٰ الله بالحكمة والموعظةِ الحسنة ، وبيانُ التوحيد بأدلَّته ، وكسْرُ شَوْكةِ الباطل وإزالةُ دولته ، والجهادُ فى سبيل اللهِ لإعلاء كلمةِ الإسلام ، وحَثُّ الناسِ علىٰ الانقياد لأمر اللهِ وطاعته ، ليعيشَ الناسُ علىٰ هدايةٍ وبَصيرة فى نور الإيمانِ الصحيح ، واليقينِ الصادق ، ومعرفة الحقوقِ والواجبات ، والحلالِ والحرام كما بيَّنها الوحى .

لقد دعا سليمانُ عليه السلام بلقيسَ وقومَها إلىٰ الإسلام والانقيادِ لأمر الله وطاعته ، ونبْذِ الشركِ والأوثانِ وكلِّ ما يُعبَدُ من دون الله عزَّوجل وقال لهم: " **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ** " أى : لا تتكَّبروا ولا تَمْتنِعوا ، وهى دعوة إلىٰ التفكُّر الصحيح ، والنظرِ فى الأمر بعين الروية والتأمل فيه ، لأن التكبُّر عن الانقياد للحق ، قد يؤدِّى إلىٰ مالا تُحمَدُ عُقباه .

وادركتْ بلقيسُ أنها أمام أمرٍ ذى بَالٍ ، وأن السبلَ مُمهَّدةٌ للحوار والبحْث للوصول إلىٰ ما هو خيْر ، وكانت المرأةُ عاقلةً حكيمةً وَرِثَتْ المُلْكَ عن بيْتٍ عريقٍ في إدارة شئونِ الأمة ، ونمَّت خِبْراتُها ، وافادت من طول عهْدِ آبائِها بالحُكم وفُنونِ سياسةِ الشعوب والعلاقات الخارجية ، وقد ظهرت حِكمتُها وبُعْدُ نَظَرِها فى أمور كثيرةٍ منها :

* أنهـا لم تُـرِد أن تنْفـرِدَ بالـرأى فى الإجابة عن مضمـون رسـالةِ سـليمـانَ عليـه السلام والـردِّ عليـه ، فجمعَت رجـالَ الدولـة وأهـلَ الـمشـورة وأربـابَ الحِـكمـة والقيـادة وأطـلعتْهـم علىٰ كتـاب سـليمان ، وقـالـت لهـم : " **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون** " .

والمـلأُ أشـرافُ القـوم ، وقيـل كان عـددُهـم ألـفَ رجُـلٍ من الأقْيَـال وهـم القـادة الكبـار ، وقيـل أكـثر من ذٰلك .

والمـراد بالفتْـوىٰ هنـا : الإشـارةُ عليهـا بما عنـدهـم فيما حـدَث لهـا من الـرأى والتدبـير ، لاتِّخـاذ الموقـفِ المناسـب فى العقْـل والحِـكمـة إزاء مـا جـاء فى دعـوة سـليمان عليـه السـلام .

* تلطَّـفـت بلقيسُ فى عـرْض الأمـر ، وأخـذت فى حُسـن الأدبِ مـع قومهــا ، ومشـاورتهـم فى أمـرهـا ، وأعلمتْهـم أن تـلك طـريقتُهـا ، وأن ذٰلك مُطَّـرِدٌ عنـدهـا فى كـل أمـرٍ يَعْـرِض ، وذٰلك بقولهـا: " **مَـا كُنْتُ قَاطِعَـةً أَمْـرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون** " فكيـف بهٰـذه النازلـةِ الكُبرىٰ ، والأمـرِ الجـلَـل ، الـذى جـاءهـم من نـبىٍّ مَـلِكٍ يعلمُـون عنـه العـدْلَ والقُـوَّةَ وعظمـةَ السـلطان .

* قصَـدتْ بلقيسُ بالرجـوع إلىٰ رجـال الدولـةِ لاسـتشارتهم واسـتطلاعِ آرائِهـم أمـورًا غـايةً فى الدقـة منهـا :

أولا : اسـتعطافُهم ، وتَطْييبُ نفوسـهم ليقفُـوا إلىٰ جـانبها ، ويقومـوا معهـا .

ثانيا : لتختـبرَ عـزْمَهـم علىٰ مقـاومـة أعـدائِهـم عنـدما يقتـضـى الأمـرُ ذٰلك ، ولتعـرفَ حـزْمَهـم فيما يُقِيم أمـورَهـم ، وإمضـاءَهـم علىٰ الطـاعـة لهــا ، ليقينهـا بأنهـم إذا لـم يـكـونوا علىٰ اسـتعداد لبـذْل

أنفسهم وأموالهم دون حمايةِ دولتِهم لم يكن لها وحدها طاقةٌ بمقاومة عدوها ، وإن لم يجتمعْ أمرُهم وحزْمُهم وجِدُّهم كان ذلك عونًا لعدوِّهم عليهم .

ثالثا : رأت بثاقب فكرِها أنها إن لم تختبرْ ما عندهم ، وتعلمْ قدْرَ عزمِهم لم تكن علىٰ بصيرة وبيِّنه من أمرهم ، وربما كان فى انفرادها بالرأى وَهْنٌ فى طاعتها وضَعْف فى واجباتهم نحوها .

رابعا : رأت أن فى مُشاورتهم وأَخْذِ رأيهم عونًا وسندًا علىٰ ما تريدُه من قوَّة شوْكتهم ، وشدةِ مدافعتهم ، ولذا سرَّها أن سَمِعت منهم فى جوابهم " **نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيد** " .

لقد أجاب الملأُ بما أقرَّ عينَها ، وأراح نفسَها من قولهم : إنهم أولو قوة : أى بالعَدَد والعُدَدِ ، وأولو بأْس شديد : أى أصحابُ شجاعةٍ ونَجدة ، لقد أظهروا القوةَ العرضيَّةَ المادِّيَة ، والقوةَ الذاتيةَ النفسيَّةَ ، وكأنهم قالوا : نحن مستعدُّون للحرْب ودَفْع أىِّ حادِث ماديًّا ومعنويًّا وهٰذا غايةُ ما تسعَىٰ إلىٰ تحقيقه الدولُ فى عصرنا الحاضر وفى كل عصرٍ أن يكون جيشُها مُعَدًّا بما يناسبُ روحَ عصرِه ، ومُزَوَّدا بالسلاح والعتَاد ، وأن يكونَ أفرادُه شجعانًا ذوى بأْسٍ ومعنوياتُهم مرتفعةً عند التحدِّى ، مع طاعةٍ وانقياد للقيادة وتبادلِ الثقة .

الثقة :

ومن أمارات ثقةِ رجالِ الدولةِ ببلقيسَ ، أنهم - أولا - أبْدَوْا بذْلَ أقصىٰ ما يَستطيعون للحماية والصيانةِ والمُجَابهة ، وطمأنُوها علىٰ الأحوال من الناحيتين العسكريةِ والنفسيةِ .

وثانيا : سَلَّموا الأمرَ إلىٰ نظَرها ، وأرجعوه إلىٰ رأيها ، فهم واثقون من خبرتها وقد وَرِثَت الحُكمَ فى بيت عَمُقَت خبرتُه ، وصارت لأهله دُرْبَةٌ وحنْكَة بفنونه ، يعرفون كيف يُجيلون الفِكْر فى الأمور ، وكيف يُصرِّفون الشؤون ويمسكون بالدقَّة إلىٰ شَطِّ النجاح والأمانِ لقد قالوا لها: " **وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ** " بعد أن أظهروا لها ما أظهروه من الشجاعة والطاعة ، أى : هو موكول إليك ، ونحن مُطيعون لك ، فَمُرِينا بأمْرك نُطِعْك ولا نُخالفْك ، وفى هٰذا إيماءٌ بالميل إلىٰ القتال والمُواجَهة ، وذٰلك من حُسن مُحَاورتهم إذْ وكَلُوا الأمرَ إليها ، وفيه دليلٌ علىٰ الطاعة المُفْرِطة ، والثقةِ الكاملة ؛ وهٰذا يَظهر لنا من قولهم أيضا: " **فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ** " أى : تفكَّرى وتأمَّلى فى الأمر ، وماذا تَريْن فيه نتَّبع رأيَك .

إنه مجلسٌ يضمُّ دهاةً من العرب فى ذاك الزمان ، وكانت لهم حضارةٌ ولهم قوةٌ وبأس ، وجيوشٌ بالَغ الرواةُ فى ذِكْر عددِها حتىٰ وصل به بعضُهم إلىٰ ما فوق المليون ، وبالقيادات إلىٰ نحو ألف ، وهٰذا تاريخٌ بعيد ، وليس فى ذٰلك خبرٌ قاطع ، ولٰكنه يُومِىءُ علىٰ أى حال بأنهم كانوا علىٰ نحوٍ يُعْتَدُّ به من العُدَّة والعتاد والعَدَد .

وفى هٰذا المجلس نَرىٰ صورةً نابضة بالحياة تُوحى بآداب جَمَّة ، وتَبادُلِ الرأى فى حزْم ودقَّة .

<u>الشورى</u> :

وفى الحِوار الذى بيَّنته لنا الآياتُ من سورة النمل والذى جرىٰ بين بلقيس وأهلِ الرأى من رجال دولتِها ما يدلُّ علىٰ صحة المشاورةِ وحُسْنِ الأخذِ بها ، ففيها استعانةٌ بالآراء السديدة ، والخبراتِ الناضجة ، وأَخْذُ أحْسن ما عند المستشار من التَّجربة والرأى ، كما أن فيها من جانب آخَر مداراةً للأولياء واستمالتَهم ، بل إن الذى يَستشير عدوَّه وخَصْمَه من ذوى الرأى يستطيع أن يتعرَّفَ مقدارَ عداوتِه ، ويستشفَّ ما فى نفسه ، وفى الحكمة : اسْتَشِر عدوَّك تعرِفْ مقدارَ عداوتِه .

وقد حثَّ الإسلامُ على الشورى ، وحبَّب فيها ، قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ " آل عمران (١٥٩) .

وقد مدَح اللهُ الفضلاءَ أهلَ الشورى بقوله: " وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ " الشورى (٣٨) وفى القرآن الكريم سورةٌ باسم " الشورى " وهى من السور المكية ومنها مدنىٌّ .

والمشاورةُ من الأمر القديم خصوصا فى المواقف ذاتِ الشأنِ كالحرب والسلم .

وفى الحديث: " ما خابَ مَن استشار " فالمشاورةُ أمانٌ من النَّدامة وفى الأثر : " نِعْمَ المُؤَازَرَةُ المُشَاورة " ، وفى الحكمة: " مَن شَاور الأَوِدَّاءَ أَمِنَ من الأعداء " وفى التوجيه : نِصفُ رأيك مع أخيك فاستَشِرْه .

والإنسانُ يستشيرُ الحازمَ اللبيبَ الذى يأنسُ إلى صِدْقه وسلامةِ تجربته وخبرته .

قال الجاحظ : أحْسَنُ ما قاله الأدباءُ فى المشُورة قولُ بَشَّار :

إِذا بَلَغَ الرَّأْيُ المَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ
بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحةِ حَازِمِ
وَلا تَجْعَل الشُّورَى عليْكَ غَضَاضَةً
فَإِنَّ الخَوَافِيَ قُوَّةٌ لِلْقَوادِمِ

وفى محاضرات الأدباء : بحَزْم نَصيحٍ او نصيحةِ حازم .

والخوافى من الطير : جمْعُ خافية وهى ما دون الرِّيشاتِ العشْر "القوادم" من مُقَدَّم الجَناح .

وهذا تشبيهٌ ضِمْنىٌّ فيه قوةٌ وروْعة ويقوم مقامَ الدليلِ على صِحَّة الفِكْرة فى الدعوة إلى الاستعانة برأى النصيحِ ونصيحةِ الشخصِ العاقل الحازم فى الأمور ، وألَّا يحتقرَ الكبيرُ الرأْىَ إذا جاء مِمَّن هو فى نَظَرِه أصغرُ منه أو أقلُّ تَجْربة ، لأن الرِّيشاتِ الظاهرةَ فى جَناحَىْ الطائر لا غِنَى لها عن الريش الصغيرِ تحتَها .

وفى حكمة الشاعرِ عبدِالله بنِ معاويةَ :

إذا كُنْتَ فى حاجةٍ مُرْسِلًا فأرْسِلْ حَكِيمًا وَلا تُوصِهِ
وَإن بابُ أمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوىٰ فشاوِرْ لبيبًا ولا تَعْصِه

وفى محاضرات الأدباء : فشَاوِرْ نَبيهًا ولا تَعْصِه .

<u>ومن الأمثال والحكم</u> :

* خَف اللَّهَ فى مُوافَقَةِ المُسْتشِير .
* مَن طلَب الرُّخَصَ مِن الإخوان عند المُشَاورة ، ومن الأطباءِ عند المَرَض ، ومن الفقهاءِ عند الشُّبَهِ فقد خدَع نفسَه .
* المسْتَشار مُؤْتَمَن .

<u>عودةٌ إلىٰ مجلس بلقيس</u> :

احسَّت بلقيسُ من أهل مشورتِها الميْل إلىٰ الحرب وانهم رهْنُ إشارتها فى ذلك ، ولكنَّها بثاقب فِكْرِها وطولِ تجرِبَتها رات الميلَ إلىٰ الصُّلح ، والابتداءَ بما هو احسنُ ، والقتْ بِحُجَّتها إليهم فيما يتعلقُ بمساوىء الحربِ ، ووجوب دَرْءِ أسبابِها بكلِّ سبيل ، فليس فى الحرب إلا الخرابُ ، والدَّمارُ ، وسفْكُ الدماءِ ، وإذلالُ المغلوبِ ، والأسْرُ والإهانةُ ، وشرحتْ لهم عاقبةَ الحرْب وسوءَ مَغبَّتِها ، وانها تَعْدِلُ عن ذلك إلىٰ المُهَادَنَةِ ، والمُصَالحَة ، والمُسَالمَة ، والمُخَادَعةِ ، والمُصَانَعةِ وقالت : "**وإنِّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُون**" .

فهَيَّا نتامَّل رأْيَها وموقفَها ؟

لماذا رأت أن تُرسِلَ هديَّةً قيمةً لائقةً إلىٰ نبىِّ الله سليمان ؟ وما غرضُها من ذلك ؟

لا شكَّ أنها كانت بعيدةَ النظر .

***

١٣ هَديّة بلقيس وهِدايتُهَا

كانت بلقيسُ ملكةُ سبأ على فِطْنَةٍ وذكاء ، ولم تأخذْها الحماسةُ بما رأتْه من رجالها من استعدادٍ للبذْل والتضحية ، وبيّنت لهم أهوالَ الحرب ومحاذرَها ، وما تجرُّه من الخراب والدّمار ، إذ الحربُ دومًا تُعْرَفُ مَبَادِيها وأَوائِلُها أمّا أواخرُها ونتائجُها فغيْبٌ لا يعلمُه إلا اللهُ وحده ،والغالبُ والمغلوبُ فى خسَارٍ وإن كان نصيبُ المغلُوب فى ميزان الخسارةِ أرْجَحَ وأعظمَ لِمَا يَلْحَقُه من الذُّلِّ وانكسارِ النفوس ، لذا لاتُقْدِمُ عليها الأممُ الراشدةُ إلا لمصلحةٍ أعمَّ وأرشدَ وأقومَ وأهدىٰ سبيلًا إذْ تكونُ الحربُ دواءً كالكَيِّ بالنار عند الحاجةِ - وشرْحُ ذلك يَطُول - .

رأت المرأةُ أن يكونَ حَلُّ الأزمةِ بينها وبين سليمانَ عليه السلام ، والتى أتتْها من حيث لا تَحْتَسِب أن ترسلَ إليه بهديَّة تُصَانِعُه بها ، وتُظْهِرُ حُسْنَ النَّوايا ، وتطلب مودَّتَه بها إذ الهدايا تُذْهِبُ ما فى الصدور من آثار الغَيظ .

ثم تنظر وتترقب عودةَ رُسُلِها إلىٰ سليمانَ وماذا يَحْمِلون معهم من الأنباء ، وردِّ الفِعْل لدى الدولةِ القويةِ التى عَرَفَتْ مِن أخبارِها ما عَرَفت .

لقد أرادت - أيضا - أن يعودَ رسلُها بتقريرٍ عن أحوال نبيِّ الله سليمان عليه السلام الذى أرسل إليها يُهَدِّدُها ويدعُوها إلىٰ عدَم التكبُّر عن قبول الإسلام والطاعة والإذعان :

ما حقيقةُ ما يُريده نبيُّ الله سليمان عليه السّلام ؟ ما مبلغُ قوتِهِ فى بلَده ومُلْكِه ؟ ما مبْلَغُ ما يُمْكِن أن يَقْدِرَ عليه من المَكِيدة إذا لم تخضَعْ لِمَا أَمر به ؟ .

لقد أرادت أن تعلمَ عن مُعَاينة ومُشَاهدةٍ بواسطة رُسلِها ما عَلِمَتْه سمَاعًا واستنباطا .

لا شكَّ أنها استعظمت مُلْكَ سليمان وقوةَ دولتِه منذ أن وصلها كتابُه لا علىٰ يَد رجلٍ بل بوساطة طائر ، فأدركت أن مَن سَخَّر اللهُ له الطيرَ حتىٰ يُرسلَه بأمر خاصٍّ إلىٰ شخص بعينه مُغْلَق عليه الأبواب ، مَن سُخِّر له ذلك غير ممتنعٍ عليه تَدْويخُ الأرض وتحقيقُ النصر - بإذن الله - .

هٰذا إلىٰ جانب ما تَرامَىٰ إليها وإلى قومها من أنباء دولةِ سليمان عليه السلام ورسوخِ قَدَمِها وعلوِّ شأنها .

قال قتادة : رحمها الله ، ما كان أعْقَلها فى إسلامها وفى شِرْكها !! عَلِمَت أن الهديةَ تقعُ موقعًا من الناس .

ذلك أن النفوسَ تَميلُ إلىٰ قبول الهدايا ، وإن قبولَها يدلُّ علىٰ الرضا والأُلفة .

<u>الرحلةُ إلىٰ حاضرة سليمان</u> :

خرَج رسلُ بلقيس يحمِلون الهديةَ النفيسةَ التي تليق بنبيٍّ ملِك ، وقد جاءت الآثارُ بتصويرها علىٰ نحوٍ يُثير الخيال ، والأقوالُ فى تعيينها مضطربةٌ متفاوتة متعارضة ، وقد جاء لفظُ الهديَّة فى الآية الكريمة مُبْهَمًا " **إِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ** " وممَّا لاشكَّ فيه أنها هديةٌ قيمة ومناسبة ولائقة لِمِثْل هٰذا المستوىٰ ، ولتحقيق ما تصوَّرته من أغراض تكفُّ عنها نار الحرب ، وتطفىءُ نُذُرَها ، ولتتأكدَ مما يلي :

إن كان سليمانُ حاكما يريد الدنيا أرضاه المالُ ويمكن تقديمُ المزيد ، بل يُمكن قبولُ فَرْض الجزية .

وإن كان نبيًّا لم يُرضِه ذلك ، ولم يشغلْه المالُ عن رسالته والمداومةِ علىٰ دعوتها وأبناء أمتِها إلىٰ الإسلام وترْكِ الشرك ، والجهادِ فى سبيل ذلك .

وإذا تأكَّد الأمرُ الأخيرُ بالتجربة والاختبار ، فما الذى يحول بين إنسان عاقلٍ ، ودُهاةِ أمةٍ عريقةٍ كالأمَّة اليمنية مِن أن يَثُوبوا إلىٰ الحقِّ ، ويؤمنوا بنبيِّ الله ، ويتَّبعوه علىٰ دينه ، وينبذُوا الأندادَ والأوثانَ .

وصول الرُّسل :

وصل رسولُ بلقيس إلىٰ سليمانَ عليه السلام بكتابها وهديتِها فلم يَقبلْها وأظهر لهم أنه ليس فى حاجة إلىٰ أموالهم ، وأن الله عزَّوجل أعطاه من الدنيا مالم يُعْطَ أحدٌ مِن خلْقه مثلَه ، فالمالُ حسَنة ، والثروةُ عظيمة والجندُ من الجِن والإنسِ والطيرِ مُسخَّر لخدمة الدولة ، لأنها دولةُ عقيدةٍ ومبادئَ شريفةٍ سامية .

" **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** " أى : فما أعطانى اللهُ من الإسلام والنبوَّةِ والمُلْكِ خيرٌ مِمَّا أعطاكم ، فلا أفْرَحُ بالمال ، بل أنم تفرحون بذلك ، لأنكم أهلُ مُفاخَرة ، ومُكاثَرةٍ فى الدنيا . وكما قال القشيرى: أتُهدونَنى مالًا ؟ وهل مِثلى يُستمال بمثْل هٰذه الأفعال ؟ إنكم وأمثالَكم تُعامِلون - الناسَ - بمِثْل ما عُوملتم - به - ارجِعْ إليهم .

وصْفُ الهديَّة :

والنفوسُ تتطلَّع إلىٰ معرفة مثْل هٰذه الهديةِ فى هٰذا الموقف البالغ الغاية فى الدِّقة ، وهى هديةٌ من دولة غنية عتيدة ، إلىٰ أعظم حكَّام عصره مع ما حباه اللهُ من النبوة والمعجزات ، ولعل فيما اختاره القشيرى من الروايات ما يُطفىء حرارةَ ظمَأ القارىء وتطلُّعِ الخيالِ والفكْر إلىٰ معرفةِ ما يُريد الوقوفَ عليه ولو بما يُقرِّبه إلىٰ الخيال والعِيان ، يقول القشيرى فى لطائف الإشارات :

جاء فى القصة أنها بعثت إلىٰ سليمان بهدايا ، ومن جُملتها لَبِنَةٌ - بفتح اللام وكسر الباء-أى طُوبة - مصنوعة من الفِضَّة وأخرىٰ من الذَّهب وأن الله أخْبَرَ سليمانَ بذلك ، وأوحىٰ إليه به .

وأمر سليمانُ الشياطينَ حتى بنَوا بساحة منزله ميدانًا ، وأمرهم أن يفرشُوا الميدان بهيئة اللَّبِن - الطوب - المصنوع من الذهب والفضة من أوله إلى آخره .

وأمر بأن توقفَ الدوابُّ على ذلك - أى على المُمَوَّه بمِثْل الذهب والفضة - وألَّا تُنَظَّف آثارُها من روْث وغيره ، وأن يُترَك موضعان لِلَبِنَتَيْن خاليَيْن فى مَمَرِّ الدخول - وهما فى حجْم ما مع رسلِ بلقيس ؟ -

وأقبل رسُلها ، وكانت معهم اللَّبِنَتان ملفوفتيْن ، فلمَّا رأوْا الأمرَ ، ووقعت أبصارُهم على طريقهم ، صَغُر فى أعينهم ما كان معهم - أى من الهدايا - وخَجِلوا من تقديم ذلك إلى سليمان ، ووقعُوا فى الفِكْرة : كيف يتخلَّصون مِمَّا معهم ؟ فلمَّا رأوا موضِعَ اللَّبِنتين فارغا - أى فى الممرِّ - ظنوا أنهما سُرقتا مِن بينها ، فقالوا - فى أنفسهم - لو أظهرنا هذا - أى ما معهما - نُسِبْنا إلى أننا سرقناهما من هذا الموضِع ، فطرحاهما فى الموضع الخالى ودخلا على سليمان .

هذه بعضُ الروايات فى تصوير أمرِ الهدية ، وفيها ما يدلُّ على الذكاء وحُسْنِ السياسةِ فى تأتِّى الأمورِ ، واستقبالِ السفراءِ بما يُناسب الحال والموقفَ ، ويؤدِّى إلى تفهُّم المقصود من أقْصر طريق .

كلمةٌ فى الهدية وآثارها النفسية والاجتماعية :

الهديةُ : نوعٌ من الهِبَة وهى ما يُكْرَمُ به الموهوبُ له . وكان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقبل الهديةَ ، ويُثيبُ عليها ، ولا يقبل الصدقةَ وكذلك كان سليمانُ عليه السلام وسائر الأنبياء صلواتُ الله عليهم أجمعين .

أمَّا : لماذا لم يقبل سليمانُ عليه السلام هديةَ بلقيس ؟ فذلك لأن الأمر وراءه حكمةٌ شرعية ، ولأن المُهْدِي جعل قبولَ هديته أو رَدَّها علامةً على ما أرادتْه فى نفسها ، من كون سليمانَ مَلِكًا أو نبيًّا ، لأنه

قال فى كتابه: " أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِين " وهذا الأمرُ لا تُقْبَلُ فيه فديةٌ ، ولا يُؤْخَذُ عنه هديَّة ، وليس هذا الباب - وهو بابُ جهاد خالص فى سبيل الله - من الأبواب التى تَقرَّر فى الشريعة أن تُقبلَ فيه الهدايا ، وإنما هى فى هذه الحالة رِشوةٌ وبَيْعُ الحقِّ بالباطل ولا يَحِلُّ أخذُها فى هذه الحالة بحال .

وإن الهديةَ المُطْلَقَةَ للتحبُّب والتواصُل بين أهل الإيمانِ جائزةٌ من كل أحد ، وعلىٰ كل حال . وقد حثَّ الإسلامُ علىٰ قبولها مهما كان قدرُها للتحابِّ وتأكيد المودةِ وإزالةِ ما قد يكون من جفوة ، وفى الحديث الذى رواه مالك عن عطاء : " تَصافَحُوا يذهبُ الغِلُّ ، وتَهادَوْا تَحَابُّوا وتذْهبُ الشَّحناء " .

وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : " كان رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم يقبل الهديةَ ويُثِيبُ عليها " .

أى : يجازِي المُهدِى فالإنسان يكافِئُ المُهدِي ولو بكلمة الشكر . وفى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلىٰ الله عليه وسلم قال : " لو دُعِيتُ إلىٰ ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لقَبِلتُ " .

الذراعُ : هو السَّاعد .

والكُراع : - بضم الكاف - ما دون الرُّكْبة من الساق وعطفه علىٰ الذراع مبالغة فى قَبول الهدية ولو جمعَتْ مع القِلَّة حقارةَ شأنِها ، لأن الكُراع أحقرُ ما يُؤكَل فى الشاة ، قال الحافظ : خصَّ الذراعَ والكُراعَ بالذِكْر ليجمعَ بين الحقير والخطير .

وفيه إشارة ورمْزٌ إلىٰ قبول دعوةِ الغنيِّ والفقير ، وقبولِ هدية كلِّ إنسان بحسب ما يستطيع ، فمن فضْل الهدية مع اتباع السنَّة أنها تُزيل حزازاتِ النفوس ، وتُكسِبُ المُهْدِى والمُهْدَىٰ إليه مَزيدا من السرور عند اللقاء ، وتجمعُ القلوبَ علىٰ المودة .

في الأثـر الاجتمـاعـي :

* هَـدايا النـاسِ بَعضِهـم لِبَعض   تُولِّـدُ فى قُلـوبهم الوِصَـالا
وتَـزْرَعُ فى الضَّمـير هَوًى وَوُدًّا   وتُكْسِـبُهم إذا حَضَـرُوا جَمالا

* إذا قَـدِم أحـدُكم من سـفَر فليُهْـد إلىٰ أهـله وليُطْـرِفْهم وإن قليـلا .

* وفى الأثـر : إن القلوبَ جُبِلـت علىٰ حـبِّ مَن أحسـن إليهـا ، وبُغْض من أسـاء إليهـا .

* وفى الأثـر : تهـادَوا فإنـه يُضَعِّـفُ الـوُدَّ ، ويَـذْهَـبُ بِغَـوائـلِ الصَّـدرِ .

عـودة سـفراء بلقيس :

قال سـليمانُ عليه السـلام للمنذر بن عمـرو أمير الوفـد: ارجِـعْ إلـيهـم بهـديتهم: " **فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا** " أى: لاطـاقةَ لـهـم عـليـهـا "**ولَنُخْـرِجَنَّهُـم**" أى : من أرضهـم " **أَذِلَّـةً وَهُـم صَـاغِرُون** " أى : بقهـرْهم بالأسـر ونحـوِه إن لـم يُعلنـوا الإسـلامَ والرجـوعَ إلىٰ اللـه وتوحيـدِه وطـاعة رسـوله .

رجَـع وفـدُ بلقيس متوجِّها نحـو اليمـن :

الخـواطـرُ تَتزاحَـمُ ، مِمَّا جعَـل الطـريقَ طـريقًا شـاقًّا ، علىٰ الرغـم مـن انهـم كانوا يحثُّـون الخُطـا حثًّـا ، ويُسـرِعون إسـراعا ، وَيُرْخُـون العِنَان للخيـول والـدوابِّ .

مـاذا يكـون بعـد ؟

هـٰذا فى عِـلْم اللـهِ وحـده !

لقـد رأينا عَجبًـا ، مِمَّا لم يَرَ إنسـانٌ مثـلَه فى مـكان أبـدًا رأينـا جيشًـا يمـلأُ النفوسَ خـوفًـا ورهْبـة .

رجـالٌ أشـدَّاء .

طيورٌ تُظَلِّل .

مَسَرَدَةٌ على الجانبين .

حشودٌ عَجيبة ، ونظامٌ بديع ، وقياداتٌ يَقظِة .

أمَّا عظمةُ الدولةِ وثروتُها ، وقوتُها الماديةُ والمعنويةُ فأمْرٌ يفوق ما تصوَّروه قبل الزيارة .

أمَّا بهاءُ الإيمانِ ، وسكينةُ اليقين ، وتواضعُ النبيِّين ، وجمالُ الخُلُقِ وحُسْنُه ، وروعةُ الحقِّ وجلالُه ، ففوق كلِّ المظاهر الماديَّةِ فى الدولة الفريدة التى جمَعت الحُسْنَيَيْن ، وحَباها اللهُ الخَيْرين ، خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ، المادةَ والروحَ ، الفِكْرَ والحِكْمَةَ ، دولة فيها القوةُ الماديةُ فى خِدمة الحقِّ والدينِ ، ومُسخَّرة لِمَا هو أَسمَى من متاع الحياةِ الدنيا .

لماذا لا نعودُ إلى رِحاب الإيمان ؟

وماذا يكونُ جوابُ بلقيس بعد عرْضِ هذه الحقائقِ عليها ؟

السُّفراءُ يقْطَعُون الطريقَ نَهْبا نَهْبا ... والخواطرُ تتزاحَمُ .. وتتزاحَم وبُشْرَيات الأمَلِ فى الخُروج من ضيقِ الكُفْرِ إلى سَعة رحمةِ الله ، ومن ظلامِ الشركِ والشكِّ إلى نور الإيمانِ واليقينِ تنزلُ على قلوبهم بَرْدًا وسلامًا .

الوصول :

ولمَّا وصلوا إلى بلقيس ، وأخبروها بما شاهَدوا وسَمِعوا ، عَلِمَتْ أنه لاوجْهَ لها سِوى قبولِ دعوةِ سليمانَ النبى عليه السلام ، وطاعتِه ، وسَرَّها ما سَمِعَت من وفْدها وفَرِحتْ لذلك فرحًا عظيمًا ، ووجَد نورُ الإيمانِ طريقَه إلى قلبها فغمَرَه بالسكينة والرِّضا ، وانضوى قومُها وأهلُ مشورتها تحت اللواءِ الجديد ، لواءِ الحقِّ والتوحيد ، ونبْذِ عبادةِ الشمسِ والأوثان ، والتخلُّص من أغلال التقليدِ للآباء ، والجمودِ على ما كان عليه سَلَفُهم من باطلٍ وزَيْغ .

لقد انطلق العقلُ حُرًّا يجول فى آفاق النفس وآفاق الكون ، وفُتِح السمعُ للدعوة التى وجّهها سليمانُ النبى عليه السلام ، وتغيرت نظرةُ القوم إلىٰ الكون والحياة والإنسان ، حين استقاموا علىٰ أول طريق الحقّ والهدىٰ ورأوا الخروجَ إلىٰ سليمان عليه السلام فى تواضعِ الراغبين فى الحق والهداية لا فى جَلَبة المُكابرين المتعنتين .

ما الشمْسُ : إنها مخلوقٌ مُسخّر لخدمة الإنسان كغيره من الآيات التكوينية ... فكيف تُخَافُ أو تُخْشَىٰ أو تُرْجَىٰ من دون الله ، وهناك ما هو أعظم منها جرْما وقوة من الشموس الهائمة فى الفضاء .

كيف يعبد العاقلُ ما لا يَعقِل ؟

كيف يرجو العاقلُ ما هو مسخّر بأمر خالقِه لأداء دوره ووظيفته فى نطاق السُّنَن الكونية ، ونطاقِ النظام العامّ الرائع فى السماء والأرض الذى يهتف كلّه : بأن لى صانعًا صنعنى علىٰ مقتضىٰ حكمته وإرادته ، وموجودا أوجدنى بكمال قدرتِه .. سبحانه ... سبحانه ، لا إلٰه إلّا هو ولا معبودَ بحقٍّ سِواه .

فماذا فعلت بلقيس ؟

***

١٤ عودة بلقيس « وتهنئة للهدهد على سفارته الميمونة »

رجَع رسلُ بلقيسَ إلىٰ اليمن ، وأخبروها بما شَاهدوا فى مَجلِس سليمان وحاضرةِ مَمْلكته ، وبما سَمِعوا .

عَلِمَت بلقيسُ أن الأمرَ جِدٌّ ، وأنه لا بدَّ للإنسان العاقِلِ من أن يفكِّرَ فى الأمور تفكيرًا يرجُو به الوصولَ إلىٰ معرفة الحقِّ والإيمان به ، فعزَمت علىٰ المسير إلىٰ سليمانَ عليه السلام ونَوَت إعلامَه بقبولها طاعتَه ومتابعتَه فى الإسلام ودخولَها ودخولَ قومِها فى دِينِ اللهِ عزَّ وجل .

خرجت بلقيسُ فى مَوْكِبها المَهيبِ وهى علىٰ هٰذا العزمِ قاصدةً حاضرةَ مملكةِ سليمانَ عليه السلام .

أمَّا " عَوْدَةُ بلقيس " فالمقصودُ بها عودةُ القلبِ والنفسِ إلىٰ دين الفطرةِ التى فطَر اللهُ الناسَ عليها ، فما مِن مولود إلَّا يُولَدُ علىٰ فِطْرةِ الإسلام وتوحيدِ اللهِ عز وجل ، ولٰكنَّ البيئةَ التى ينشأُ فيها تَعْملُ عملَها وتؤثِّرُ فى الإنسان ،وتَطْمِسُ - فى كثيرٍ من الأحيان - نورَ الفطرةِ فى نفسه فيصيرُ مجوسيًّا أو مُثَلِّثًا ، أو وَثَنِيًّا ، أو بِلا إيمانٍ بوجودِ اللهِ خالقِ الكون ، فإذا شرَح اللهُ صدْرَ العبدِ للإسلام ، ودخَل فى دين اللهِ ، وانضوىٰ تحت لواءِ نبىّ الله ، كان ذٰلك منه عودةً إلىٰ الأصل ، ورجوعًا إلىٰ الدين الذى وُلِدَ عليه ، فقد اجتمَع فى رحلة بلقيسَ أمران ، : أمرٌ يَتَّصِل بحركة الأجسام وهو الخروجُ إلىٰ سليمانَ عليه السلام ، والآخرُ يتَّصِل بِنَبْض القلْبِ ومَيْلِ النفسِ وهو العودةُ إلىٰ الإيمان الصحيح واليقينِ الصادق تلبيةً لنداء نبىّ اللهِ عزوجل " **وَأْتُونِى مُسْلِمِين** " .

وَمَا أكْرَمَها مِن رِحْلَة !! .

وكانت لهدايتها أسبابٌ : سِفارةُ الهدهدِ التى لم تُرتَّب بصفة رسمية فى نطاق موقعه من العاملين فى الدولة ، ولكنَّها تمت اختيارا منه .

وللخير أسبابٌ ، وخالقُ الأسبابِ والمُسبَّبات - بفتح الباء المشددة وبعدها باء مفردة مفتوحة - هو اللهُ المدبِّر الحكيم الذى لا يقع فى الكون إلا ما يريده .

وترتَّب علىٰ سفارته الأولىٰ ، إيفادُه بصفة رسميَّة بكتابِ سليمانَ الحكيمِ ، لِيُبلِّغ رسالةَ ربِّه إلىٰ أمةٍ مجوسيَّة يدعوها إلىٰ الهدىٰ وخالص الإيمان ، والاستقامةِ علىٰ طريق الخير والصلاح .

وها هى ذى بُشرَيات الخيرات تُرفرِف بأجنحتها النورانيةِ علىٰ مملكة سبأ وأهلِها .. فهنيئا للهدهد علىٰ سفارته الناجحة الميمونة .

<u>خاطرة وعبرة</u> :

ولو أن كلَّ إنسانٍ منَّا فكَّر فى قيمة نفسه ووجودِه وفيما منحه الله من القُوىٰ العقلية والنفسيةِ والعواطفِ والمشاعرِ وفى أن مقياسَ قيمة وجوده إنما هو فيما يصدُر عنه من أفعال وأقوال ومسالك ، لو اتجه التفكير هذا النحو مع ربْطِه بالعُمر الزمنى المحدود لاختار أهلُ البصيرة والحكمة والنظرِ السديد أن يوجِّهوا قُواهم للخير ، وللنفع العامِّ كلٌّ واحدٍ بحسبه ، وبقدْر ما يتاح له ! لا يَنِى عن تقديم الخير للآخرين ، ولا يفتُر عن دفع الضرِّ عنهم ، ودرءِ الشرِّ سواء من نفسه ، أو من أسباب أخرى .

إن النملة بسلامة الفِطرة دفعتْ عن قبيلتها وأمتها هلاكا كان من المحتمل وقوعُه مرةً واحدةً عن طريق شدَّة وطءِ خيولِ سليمانَ عليه السلام وجنودِه ، فجمعت كلَّ قُواها وأنذرتْ قومَها بأقصىٰ ما تستطيع ، مِمَّا يُعيد إلىٰ المسامع صوتَ " صفارات الإنذار " التى تنبِّه الناسَ فى عصرنا الحاضر لِلَّجْوء إلىٰ المخابىء والملاجىء والأماكنِ الحصينةِ حين تنبِّهُ أجهزةُ الرصْد عن قُرْب وقوعِ الغَارة .

و " إنَّ النَّذِيرَ العُرْيَان " كان معروفا لدَىٰ العربِ فى جاهليتهم وهو الذى يرصُد المسَالِكَ التى يُتَوقَّع منها وصولُ العدوِّ للمُبَاغَتة فيلجأُ إلىٰ خَلْع ملابسِه وركوبِ دابته مسرعا بها مُشِيرا بالملابس صائحا مُنْذِرا ، ليأخذَ القومُ حِذْرَهم ، ويُعِدُّوا العُدَّةَ لحِمَاية أنفسِهم وموطِنِهم وممتلكاتِهم .

ونجحت النملةُ ، وكان لها شرفُ سرورِ نبيِّ الله سليمان عليه السلام بها وثنائِه علىٰ حِكمتها وحِرصها علىٰ سلامة بنى جنسها .

وكان الهدهدُ رمزا فى دقَّة الملاحظة ، ومراقبةِ الأمور ، والتأكد من الحقيقة ، ثم نقْلِها بصدْق وأمانة مع الرغبة فى أن يعودَ ذوو العقول والأفهام إلىٰ دين الفطرة ، وعبادةِ عالِم السرِّ والنَّجْوىٰ ، وهٰكذا كانت خطواتُه ميمونة ، ومساعيه مشكورة .

والإنسان ولا شكَّ أولىٰ بذٰلك كلِّه !! .

<u>بلقيس في حاضرة مملكة سليمان</u> :

لمَّا عَلِم سليمانُ عليه السلام باعتزام ملكةِ سبأ علىٰ زيارته فى حاضرة مملكته شيَّد لها صرحًا عظيمًا ، وصفَه القشيرى : بأنه من الزجاج شِبْه طَبَق كبير صافٍ مُضِىء ، ووضَعه فوق بِرْكةٍ بها ماءٌ كثير عَمِيق ، يُرَىٰ الماءُ من أسفل الزُّجاج ، ولا يُمَيَّز بين الزجَاج والماء ، وهٰذا شىءٌ لاعهْدَ لأهل اليمنِ به .

ولمَّا قَرُبت من ديار سليمانَ وجاء الخبرُ بذٰلك إليه ، أراد أن يُظهِرَ لها من دلائل قوةِ مملكته ، وَنِعَمِ اللهِ تعالىٰ عليه ما يبهرُها ، وأن تَرىٰ بعينيها ما لم ترَ فى الأحلام ، وذٰلك بفعْل عجيبةٍ ظاهرة ، وهى أن يأتِيَها بعرشها الجميلِ ليكونَ جلوسُها عليه فى ذٰلك الصَّرح .

سال سليمانُ جنودَه عن قويٍّ منهم يأتيه بعرش بلقيسَ من أرض اليمنِ إلى الشام : " **قَالَ : يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين** " .

قال عبدالله بنُ شدَّاد : كانت بلقيسُ حينئذ على فرْسخ من سليمان .

وقال ابنُ عطية : وظاهرُ الآياتِ أن هذه المقالةَ من سليمان عليه السلام بعد مجيء هديتِها إليه وردِّه إياها ، وبعثِه الهدهدَ بالكتاب .

ومن فوائدِ طلبِه هذا أن يُرِيَها القدرةَ التي هي من عند الله ، ويجعلُ إحضارَ العرش دليلا ملموسًا لها على نُبوَّتِه ، لأن هذا خارق عظيم أن يأتِيَ بعرشها كما هو من بلادها ، قبل أن يصلوا إليه .

" **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين** " أى : قوى على حمْله ، أمين على ما فيه من الجواهر فلم يرغب سليمانُ فى قول هذا المارد ، لأنه أراد أعْجَلَ من ذلك ، وكان مجلسُ سليمانَ للناس للقضاء ، والحكوماتِ ، وللطعام من أول النهارِ إلى أن تزولَ الشمس (أى ساعة الظهيرة) .

وعَلَّل القشيرى لذلك ، لأن العفريتَ بنَى قولَه فى إحضار العرش على دعوى قوتِه ، أى ففيه من دَعَاوَى النفسِ والتظاهرِ شىءٌ ، وهذه أمورٌ دقيقة ولطيفة .

لمَّا قال سليمان : أُريد أسرعَ من ذلك : " **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** " وكأنه قال: بانبىَّ الله امْدُدْ بصَرك ، فمَدَّ بصَرَه نحو اليمَن ، فإذا بالعَرش ، فما ردَّ سليمانُ بصَرَه إلا والعَرْش عنده .

وقيل : أراد مقدارَ ما يفتحُ عينَه ثم يَطْرف ، وهو كما نقول : افْعَلْ كذا فى لحْظة عَين - وهذا أشبه - .

فمن القائل ؟ :

قيل : إنه سليمانُ نفسُه ، قال ذلك للعفريت لمّا لم يُعجبه قولُه فوجَّه إليه على سبيل تحقير كلامه : " أنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أن يَرْتَدَّ إليْكَ طَرفُك " ثم شكرَ اللهَ على نعمة التوفيق فقال: " هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى" .

وقيل : إنه أحدُ الصدّيقين من أولياء اللهِ الصالحين من أصحاب سليمان والوَليّ : صاحبُ كرَامة ، وكراماتُ الأولياءِ مُلتحِقَةٌ بمعجزات الأنبياءِ فالولىُّ من جُملة امّةِ النبى ، وإذا ارتقىٰ الإنسانُ فى معارج الإيمانِ وقوتِه والطاعاتِ والإخلاصِ فيها ارتقتْ مع ذلك درجتُه من الوَلايَة ، والقولُ بانه احدُ المؤمنين هو الراجح ، ويهَبُ اللهُ ما شاء لمَن يشاء مِن خَلْقه ، فقد كان لصاحب موسىٰ من العِلْم بامورٍ مَا لَمْ يُعْطَ موسىٰ عليه السلام مع علوّ منزلته عند ربّه ، ومع ما له من العلم بما يُوحَىٰ إليه ، وما يجرى من الكرامات علىٰ ايدى المؤمنين الصالحين إنما هو بسبب نِسبتهم إلى نبيِّهم ولصوقهم بشريعته ، واقتدائهم به ، وإخلاصهم فى طاعته ، واجتهادِهم وتسابقِهم فى المبرَّات والصالحات .

امّا اسمُه فقيل : آصف بن برخيا وهو من بَنىٰ إسرائيل وكان يحفظ اسمَ اللهِ الاعظم الذى إذا سُئِل به أعْطَىٰ ، وإذا دُعِىَ به اجاب .

اسمُ اللهِ الأعظم :

قيل هو : ياحىُّ ياقيُّوم ، وقيل : ياذا الجلالِ والإكرام ، وقيل: يااللهُ يارحمنُ ، وقيل : ياإلهَنا وإلهَ كلِّ شىءٍ إلهًا واحدًا لا إلهَ إلَّا انت وقيل : يا إلٰهَنا وإلٰهَ كلِّ شىء ياذا الجلالِ والإكرام .

فمن أخلص النيةَ ، ودعا بهذه الكلمات مع استجماعِ شرائط الدعاء المعروفة[1] ، فإنه يُجاب لا محالة بإذن الله تعالى .

ولماذا أُخْفِيَ اسمُ اللهِ الأعظم
بين أسمائِه الحُسْنىٰ سبحانه ؟

إن لذلك سرًّا عظيمًا ، نجد نظيرَه فى إخفاء ليلةِ القدْر بين ليالى رمضان ، وإخفاءِ ساعةِ الإجابةِ يومَ الجمعة ، وإخفاءِ الصلاةِ الوُسْطىٰ بين الصلواتِ الخمس ، لكي يجتهدَ أهلُ الإخلاصِ والمحبةِ فى الطاعة والتوسُّلِ إلىٰ الله بأسمائه الحُسْنىٰ وصفاتِه العُليا ، وبذْل الجهْد فى طاعة الله ودعائِه وذِكْرِه فى ليالى العام ويَخصُّون ليالِيَ رمضان بالمَزيد ، وكذلك يوم الجمعة ، والحرص علىٰ أداء الصلواتِ الخمسِ فى أوقاتها مع الجماعة ، وللنساء فى بيوتهن ليحظَوا بفضيلة الصلاةِ الوسْطىٰ وما أعدَّ الله للمواظبين علىٰ الصلاة فى وقتها من عظيم الثواب - واللهُ أعلم - .

أجاب اللهُ دعاءه :

ودعا الرجلُ الصالحُ متوسِّلا إلىٰ الله باسمه الأعظم ، فأُجيب دعاؤه وانتقل العرشُ فى نفس اللحظةِ إلىٰ قصْر سليمان عليه السلام ، ولاشكَّ فى أنها كرامةٌ للتابع ، ومعجزةٌ للمتبوع وهو سليمان عليه السلام ، لأن هذا ببركات الدينِ الذى بلَّغه ودعا إليه .

فكيف وصل العرشُ من اليمن الى الشام ؟ .

***

---

(١) كحضور القلب ، والإخلاص ، والإلحاح وعدم اليأس ، واختيار الأوقات والأحوال الفاضلة ، وعدم الدعاء بقطع الأرحام وعلىٰ المسلمين .

١٥- وتحققت المعجزة وفي ذلك للناس آية .

كيف وصل عرش بلقيس إلىٰ الشام :

إن اللـه عز وجل يقول للشيء كُن فيكون ، وإذا أردا شيئا فهو كائن لامحالة ، وهو سبحانه يغيِّر الحالَ فى لحظة عَيْن ، ومن الأدلة المحسوسة لنا فى عصرنا الحاضر اختفاءُ مدُنٍ كبيرة زاخرة فى لحظة مثل : أرْميرو فى كُولومبيا ، - قبل نحو خمس سنين - وبعض القُرَىٰ والمُدن فى بعض الدُّويلات التى اخضعتها روسيا لِنِيرِ سُلطانها - والتى دمَّرتها الزلازل قبل نحو عام واحد - وقل: ما شئت من الخوارق والمعجزات ، ويفعل اللـه ما يشاء ، ويحكُم مايريد .

وإن النفس تستشرفُ بطبْعها إلىٰ الاطلاع علىٰ مثل الحالِ الذى ارتبط بوصول عرشِ بلقيس واجتهادات العلماء فيه ، وكيف تمَّ ذلك ؛ وفى تفسير القشيرى - لطائف الإشارات - ما يُطفىء الظمأ إلىٰ المعرفة يقول: ومعلومٌ انه لايكونُ فى وُسْع البشَر الإتيانُ بالعرش بهذه السرعة ، وان ذلك لايحصلُ إلا بخصائص قدرةِ اللـهِ تعالىٰ . واقول فى الحقيقة: إن هذا كافٍ فى التفسير والتعليل .

ثم يحاول القشيرى التعليل فيقول: وقَطْعُ المسافة البعيدة فى لحظة لايصحُّ تقديُره فى الجَواز إلا باحد وجْهين : إمَّا بان يُقَدِّمَ او - يعدمَ - اللهُ المسافةَ بين العرشِ وبين منزلِ سليمان .

وإمَّا بان يعدمَ العرشَ ثم يُعيدَه فى الوقت الثانى بحضرة سليمان .

واى واحد من القِسمين كان - ووقع - لم يكن إلا من قِبَل اللـه ، فالذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب دعَا اللهَ - سبحانه - واستجاب لـه فى ذلك ، واحضر العرش ، وأمَر سليمانُ بتنْكِيره - وتغيير صورته - علىٰ نحوٍ ما -

وقال القشيرى - كما عند القرطبى - روى وهْبُ عن مالك : ولا يقطع جوْهرٌ فى حالٍ واحدة مكانين ، بل يُتصوَّرُ ذلك بأن يعدمَ اللهُ الجوْهَر فى أقصىٰ الشرق ، ثم يُعيدَه فى الحالة الثانية ، وهى الحالةُ التى بعد العَدَم ، فى أقصىٰ الغرب ، أو يعدمَ الأماكنَ المتوسطةَ ثم يُعيدَها .

هٰذا تصوُّرُ لهٰؤلاء الأجلَّاء .

وأقول : وإن ما حققَّه العِلْمُ فى عصرنا الحاضر من مُنْجزات فى مجال نقْل الصورة والصوتِ وسرعةِ الانتقال وقطْعِ المسافات الطويلة فى أزمان قليلة تكادُ تكونُ كالأحلام والخيال قبل هٰذا العصر ، إن هٰذا الذى يجرى فى الفضاء كلَّ يوم يُعَدُّ آيةً بيِّنةً علىٰ قدرة الخالقِ الذى علَّم الإنسانَ ما لم يعلَم ، ويدعو العقولَ إلىٰ الإذعان والإيمان بما جاء به الخبرُ الصادق عن الإسراء والمِعْراج ، وعن نقْل عرشِ بلقيس ، ويزيد القلوبَ المؤمنةَ إيمانا فسبحان مَن له كمالُ القدرة .

وقيل : بل جىء به فى الهواء - فى لحظة -

وقال عبدالله بن شداد : ظهَر عرشُ بلقيس - أمام سليمان - من نفَق تحت الأرض " فاللهُ أعلمُ أىَّ ذلك كان أو غيره " .

وما دام الأمرُ معجزةً فلا معنىٰ للبحث عن الكيفية علىٰ وجْه التحديد إذ خالقُ النواميس له أن يخرِقَها بقدرته التى أوجدها بها ، ولعل لمثل هٰذه الأعمال نواميسَ أخرىٰ لم يَكْشِفها العلمُ بعد ، واللهُ سبحانه يخلُق ما يشاء ويختار .

إن الطريقة التى نُقل بها عرشُ بلقيس إلىٰ الشام لم يثبُت فيها نصٌّ قاطع الدلالة ؛ أمَّا نقلُه فقد ثبَتَ بالنص الصريح القاطع ، وإن الإيمانَ بذٰلك واجب .

الشكر علىٰ النعمة :

من دأْب الصالحين أن يُجدِّدوا لله شكرًا عنْد كل نعمة .

وقد فعل سليمانُ عليه السلام ذلك : أخذ فى الشكر لله ، والاعتراف بعظم نعمه ، والاستحياء ، والتواضع لله عز وجل ، وقال عن قلْب عامر

بتعظيم اللهِ والإقرارِ له بكمال القدرةِ والعظمةِ والسلطانِ والرحمة: "هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" أي: لا باستحقاقٍ مني، ولا باستطاعةٍ من بشرٍ أو جانٍّ، بل أحمَدُ النعمةَ لربِّي حيث جعل في قومي، ومن أمَّتي من يُستجاب دعاؤه.

ولقد كان نبيُّنا محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلم إذا جاءه أمرٌ يسرُّه خَرَّ ساجدًا شُكرًا لله، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: " أتاني لَقِيتُ جبريلَ عليه السلام، فبشَّرني، وقال: إن اللهَ تعالى يقول لك: مَن صَلَّى عليك صلَّيتُ عليه، ومَن سَلَّم عليك سلَّمتُ عليه " فسجدتُ للَّه شُكرا.

وسجدةُ الشكرِ سجدةٌ واحدةٌ كسجدة التلاوة، يحمدُ فيها العبدُ ربَّه، ويُثني عليه بما هو أهلُه، ويطلب المزيدَ من فضله كان يقول: اللهُمَّ هذه النعمةُ منك وحدك لاشريكَ لك، فلك الحمدُ ولك الشكرُ، اللهمَّ زِدْنَا نِعْمة واحفظْها من الزَّوال " أو بأيِّ دعاءٍ مأثور.

" وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ " أي: لايرجعُ نفْعُ ذلك إلا إلى نفسه حيث استوجب بشكره تمامَ النعمةِ ودوامَها، والمزيدَ منها ولذلك قال سليمان عليه السلام: " لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " أي: ليختبرني ويمتحنني الشكر النعمةَ أمْ أكفُرها؟ " وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " أي: غنيٌّ عن الشكر وعن طاعة عبادِه " كَرِيمٌ " في تفضُّله عليهم بإحسانه، وإمهاله للعصاة، ورحمته بأهل الطاعة وتوفيقه لهم.

ما حقيقةُ الشكرِ ؟:

وحقيقةُ الشكر: الاعترافُ بنعمة المُنعِمِ على جهة الخضوع، والثناءُ على المحسن بذكْر إحسانه، وصرفُ النِّعم فيما خُلِقت لأجله، وتوجيهُ الطاقة لعبادة اللهِ وحده والإخلاص له.

ومن الشكر : عدمُ الاستعانةِ بالنعمة علىٰ معاصى الله ، وبالشكر تدومُ النعمُ ، وتثبتُ ، وتزدادُ ، والله يقول: " **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيد** " إبراهيم (٧) .

<u>بلقيس في منزل سليمان</u> :

<u>اختبار</u> :

أراد سليمانُ أن يمتحنَها لتقعَ المفاجأةُ فى نفسها موقعًا عظيما فأمر بتنكير عرشِها علىٰ نحوٍ اختلفت الآراءُ فيه ، ولا يعلم حقيقتَه إلا الله .

فلمّا جاءت ورأت العرش " **قِيلَ : أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ** " فقالت: " **كَأَنَّهُ هُو** " أى : يشبُهه ويقاربُه ، وهٰذا منها غاية فى الذكاء والحزْم ، واستدلّ سليمانُ بذٰلك علىٰ كمال عقلها .

ولما كان ذٰلك أمرا ناقضا للعادة ، صار لها وجودُ عرشِها آيةً وعلامة ناطقةً بصحّة نُبوةِ سليمان عليه السلام ، وقالت حين رأت الآيةَ فى نقْل العرش: لقد أُوتينا العلمَ بِصِحّة نُبوّة سليمانَ من قبْل أن نَرَىٰ هٰذه الآيةَ فى العرْش ، وكنّا مُنقادين لأمره : " **وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِين** " أى : من قبْل هٰذه الآية ، وقيل : هو من قولِ سليمان : أى أُوتينا العلمَ بقدرة اللهِ علىٰ ما يشاء مِن قبل هٰذه المرّة ، وكنا مسلمين لله من قبلها ، وقيل: أُوتينا العِلْمَ بإسلامِها ومجيئِها طائعةً من قبل مَجيئها .

وببركات دعوةِ سليمانَ إلىٰ الدين الحقِّ آمنت المرأةُ وزادتها الآياتُ والمعجزاتُ إيمانًا بالله وحده والرجوع عمّا كان يعبد آباؤها من الشمس والقمر والأوثان " **وَصَدَّهَا** " أى : سليمانُ " **عَمَّا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ** " أى حال بينها وبينَه ، ويجوز أن يكونَ المعنىٰ : وصدَّها اللهُ ، أى منَعها اللهُ عن عبادتها غيره ، وذٰلك علىٰ أساس تقدير حذْف " عن " وتَعَدِّى الفعل فَنُصبت " ما " مثل " **وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا** " أى : من قومه .

وبدون تقدير حذف (عن) تكون " ما " اسم موصول فاعل فى موضع رفع أى : صَدَّها ومنعَها من أن تعبدَ الله ما كانت تعبدُ من الشمس والقمر - والله أعلم - .

<u>امتحان آخَر لبلقيس</u> :

اختبر سليمانُ عليه السلام بلقيس بالعرش ، وأراد أن يُرِيَها - أيضا - علامةً علىٰ قوة دولته ، وبراعةِ العاملين فيها من الجِنِّ والإنس ، وآية لايقدر عليها سِواه فى ذاك الزمان ، وكان سليمان - كما سبَق بيانُه - قد أَمَر الشياطينَ ببناء صرْح من زُجاج كأنه الماءُ بياضا ، ثم أرسل تحته الماء ، وقد طلب إلىٰ بلقيس أن تدخلَ الصرح : " **قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْح** " ليُرِيَها مُلْكًا هو أعزُّ من مُلكها ، وسُلطانًا هو أعظمُ من سلطانها : " **فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً** " أى : ماء يُخاض : " **وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِير** " أى قصر مبنىٌّ بِناء مُحكَما أملس من زجاج ، وتَمْرِيدُ البِنَاءِ : تمليسُه ، وعند ذلك استسلمت بلقيس ، وأذعنَت ، وأسلمت وأقَرَّت علىٰ نفسها بالظلم نادمةً علىٰ ما كان منها من شِرْك وكفْر بالله .

يقول ابن كثير : والغرضُ أن سليمان - عليه السلام - اتَّخذ قصرا عظيمًا منيفا من زجاج لهٰذه المَلِكة ، ليُرِيَها عظمةَ سلطانه وتمكُّنَه ، فلما رأت ما آتاه اللهُ تعالىٰ من فضْله ، وتبصَّرت فى أمره ، انقادت لأمر اللهِ وعرفت أنه نبىٌّ كريم ، ومَلِكٌ عظيم ، فأسلمتْ لله عزوجل وقالت : "**رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى** " أى : بما سلَف من كُفرها وشِركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله .

" **وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِين** " أى : متابعِة لدين سليمان فى عبادته لله وحده ، لا شريكَ له ، الذى خلَق كلَّ شىء فقَدَّره تقديرا .

" الآيات من " ١٥ إلى ٤٤ من سورة النمل "

كلمـــة :

إن قصةَ سليمان عليه السلام فيها عِبَرٌ وآيات وهو نبيٌّ كريم ابن نبيٍّ كريم آتاه اللهُ المُلك ، ومنَحه الفراسةَ والذكاء فى القضاء والفصْل بين الناس ، وسخَّر له سبحانه الريحَ تَجرى بأمره رُخَاء حيث أصاب ، والجِنَّ ، والطيرَ ، وكانت دولتُه نَسِيجَ وَحْدِها - أى لامثيلَ لها من نظرائها - .

وسبحان مَن يَهَب ما شاء لمَن يشاء من عباده .

وفى هذه الدراسة الموجزة لم يتمّ الاستطرادُ إلى القَصص الذى لم يستَنِد على أدلة قوية ، وتبدو فى كثير منه الصنعةُ وإعمالُ الخيال ، وهو من الإسرائيليات التى نقلَها الرواة ، ووجدَت طريقَها إلى بعض كتبِ التفسير وإن كانت هذه الدراسةُ أَلَمَّتْ بشىء من الطرائف الأدبية ، والقَصص القصير والتصورات لبعضِ الأمور ، تغذيةً لإحساس القارىء وإرواءً لظمإ فُضول العقلِ على أن شيئا من ذلك لم يَطْغَ على الحقائق بفضْل الله ، وهو فى موقِعه من الدراسة،والمقاصدُ منه واضحةٌ للقارىء تماما .

إن الأدبَ يَستَميلُ العاطفة ، ويُمْتِعُ الإحساسَ ، ويجعل القارئَ أكثر شوقا لمتابعة الفصول ، والصبر على القراءة ، ولذا اشتملت هذه الدراسةُ الموجَزةُ على جوانبَ أدبيةٍ وطُرَفٍ ونواحِىَ لغوية ، إلى جانب مواطن للعبرة والعِظة وتربية النفس ، والتفاتات إلى مجْريات عددٍ من الأمور فى عصرنا الحاضر .

جزَى اللهُ الإخوةَ الذين كانوا سببا فى أن تُوَجَّه الهِمَّةُ لإنجاز هذه المُهِمَّة على النحو المقدَّر لها فى كتاب القَدَر جزاهم اللهُ خيرا ، وأرجو اللهَ أن ينفعَ بها ، وأن يجعلَها فى ميزان الحسناتِ ، وأن يعفوَ عنى إنْ بَدَا فيها

مـا لا اقصدُه من قُصـور او ضَعْـف ، فإننى فى اشدِّ الحـاجـةِ إلىٰ عفْـو اللـــهِ ورحمتِـه ورضـاه .

واسـألك اللهُـمَّ لى ولزوْجـى واولادى واحفـادى مغفـرةً من عنـدك تمحـو بهـا الذنوبَ ، وتسـترُ العيـوبَ ، وتكفِّـر السـيئاتِ ، وان تبـاركَ لـى فـى ذريـتـى وتجعـلَنى وإيّـاهـم من عبـادك الصـالحين الأوّابين التوّابين ، وان تغفـرَ لى ولأبـوىَّ وترحمهُـما كما ربَّيـانى صغـيرا ، وتغفـر لـكل من شـهد لك بالوحْـدانية ولعـبـدك محمـدٍ صلىٰ اللـهُ عليه وسـلم بالرسـالة .

والحمـدُللـه ربِّ العـالمين والصلاةُ والسـلامُ علىٰ اشـرف المرسـلـيـن وآلـــه الطيبين الطـاهـرين .

" تَمَّ في يوم الخميس ٢٧ من ذى الحجـة ١٤١٠ من الهجـرة
١٩ من يـوليـــو ١٩٩٠ من الميـلاد ،
بمدينة جـدة / المملـكة العربية السعودية حرسها الله ورعاها .

والمؤلِّف من مواليد اول المحـرم عـام ١٣٤٦ من الهجـرة
اول يوليـــو عـام ١٩٢٧ من الميـلاد -
اى في الرابعـة والسـتين من عمـره - .

وهو يسـال ربَّـه العفْـو والعـافية وحسـنَ الخـاتمـة والموت علىٰ اليقين الصادق والعمـل الصـالح ، والعـون علىٰ طـاعتـه سـبحانه .

أحمد طاحون ٢٧/١٢/١٤١٠هـ

احمد بن محمد بن إبراهيم بن عامر طاحون
من مواليد شَـتّا بإقليم المنوفية بمصـــر
حرَسـها اللــه .

*****

ثبت المراجع

اسم الكتاب	صاحبه	التاريخ الهجري
١ - الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي "	لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	توفي عام ٦٧١هـ
٢ - تفسير القرآن العظيم	للحافظ ابن كثير	توفى عام ٧٧٤هـ
٣ - تفسير القرآن الكريم المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل	للقاضي ناصرالدين أبي عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي	توفى عام ٧٩١هـ
٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي	توفى عام ٥٣٨هـ
٥ - هامش الكشاف : " الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال"	للإمام ناصرالدين احمد ابن محمد بن المنير الإسكندري المالكي	توفى عام ٦٨٣هـ
٦ - لطائف الإشارات	للإمام عبدالكريم بن هوازن ابن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري	توفى عام ٤٧٥هـ
٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي	توفى عام ١٢٧٠هـ
٨ - تفسير البحر المحيط	عمربن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي	توفى عام ٧٥٤هـ
٩ - الأنموذج الجليل في أسئلة وأجوبة من (غرائب آي التنزيل)	للإمام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر بن عبدالمحسن الرازي الحنفي	توفى عام ٦٦٦هـ
١٠- قصص الأنبياء	للشيخ عبدالوهاب النجار	توفى عام ١٣٦٠هـ
١١- حياة الحيوان الكبرى	للعلامة الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميري	توفى عام ٨٠٨هـ
١٢- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني	توفى عام ٥٠٢هـ

*****

الفهرس

من مطبوعاتنا

- آداب المشي إلى الصلاة .
- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع
- الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية

- أحكام الجنائز
- أخبار سيبويه المصري
- أخلاق العلماء

- إرشاد الساري إلى عبادة الباري
- أركان الإسلام والإيمان
- استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والرد على شبه المستشرقين
- الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب
- الإسراء والمعراج

- أسس اختيار الزوجة
- أسماء الله الحسنى ورسالة الترشيد في اعتبار حديث الأسماء برواية الوليـــد
- الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً

- أصول الدين الإسلامي
- الاعتصام بالكتاب والسنة وأثره في وحدة الأمة
- أفلام الخلاعة والمسكرات والخمور
- الإلمام بحكم القراءة خلف الإمام والجواب عما احتج به البخاري
- أهـــوال القيامـــة
- أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين

- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن ويليه شرح حديث « بدأ الإسلام غريباً »
- إيقاظ الهمة لطلب علم الكتاب والسنة .
- إيقاف الأبرار على ضعيف وواهي الآثار .

- البدائل المستحسنة لضعيف ما اشتهر على الألسنة . الجزء الثاني .
- بداية الشر والدعوة إلي وثن البربر
- بذل الإحسان في تقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن . المجلد الأول .
- بذل الماعون في فضل الطاعون

- براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة
- براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة

تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب .
تأليف الشيخ : محمد بن صالح العثيمين
تأليف الحافظ : ولي الدين العراقي
دراسة وتحقيق : محمد تامر
تأليف : عبد الله الجار الله
تأليف : الحسن بن زولاق
تأليف : الحافظ أبي بكر الآجري
تحقيق : إسماعيل الأنصاري
تأليف : الشيخ محمد إبراهيم شقرة
تأليف : الشيخ محمد بن جميل زينو
تأليف : الدسوقي السيد عيد

تأليف : حسن بن عبد الحميد
تأليف : علي محمد شاكر
تحقيق : حسين الجمل
تأليف : مصطفى عيد الصياصنه
تأليف : الشيخ رجائي بن محمد المصري

تأليف : العلامة الشنقيطي
تحقيق : شريف بن محمد فؤاد هزاع
تأليف : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

بقلم الدكتور / عاصم عبد الله القريوتي
تأليف : الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود
تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق : شريف محمد هزاع
تأليف : عبد الملك الكليب
تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق : محمد شاكر الشريف
تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق : محمد شاكر الشريف

جمع وترتيب : عادل بن عبد الله السعيدان
تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
« تحت الطبع »
تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
« تحت الطبع »
تأليف : رجائي بن محمد المصري المكي
تأليف : أبي إسحاق الحويني
تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني
تحقيق : أبي إبراهيم كيلاني محمد خليفة
« تحت الطبع »
بقلم : د. عبد الله شاكر
بقلم : بكر بن عبد الله أبو يزيد